بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَن يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَ لَهُ وَمَن يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَ اللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتْقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيماً ﴾

أَمَّا بَعْدُ

فَإِنَ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ تَعَالَي، وَخَيرَ الَهديِ هَديُ مُحَمد ق ، وَشَرَ الأمورِ مُحدَثَاتُها وَكُل مُحدَثةٍ بدعة وَكُل بدعةٍ ضلالة وَكُلَ ضلالةٍ في النار .

أما بعد

فإننا في هذا الزمان الذي كثرت فيه المناهج الاعتقادية والمناهج الدعوية بل والمناهج السلوكية كان لزاماً أن نميز المنهج الصحيح من بين هذه المناهج في كل الاتجاهات سواء كانت في العقيدة أو في السلوك أو في الدعوة ولعل السلف الصالح كانت اهتماماتهم أن يدونوا أساسيات هذا المنهج حتى لا يختلط الحق بغيره ولكن جاءت الأزمان التي يختلط فيها الحق بغيره فيتكلم الخوارج بلسان أهل السنة والجماعة ويتكلم الأشاعرة بلسان أهل السنة والجماعة ويتكلم ويتكلم ..... فاختلطت الأوراق فكان لا بد من البيان فهذا الكتاب الذي بين يديك مع صغر حجمه وقلة أوراقه بالنسبة لموضوعه إلا أنه يحتوي على ما يحتاجه المسلمون اليوم لجمع شتات ما تفرق حتى يعود المسلمون

إلى رشدهم بعد أن فقدوا المنهج الصحيح إلا من رحم الله عز وجل وهنا لا بد من التفريق بين أمرين حتى لا يحدث خلط في الفهم

1 – هناك عصمة المنهج

2 – عصمة الأشخاص

فالمنهج معصوم وذلك بأدلة من الكتاب والسنة أما الأشخاص فليسوا بمعصومين وليس هناك في الأمة معصوم بعد رسول الله ﷺ أما أدلة عصمة المنهج فمنها قوله تعالى

" ومَنْ يُشَاقِقُ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا " [النساء]

والشاهد من هذه الآية الكريمة أن الله عز وجل قال: { وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ } إذًا سبيل المؤمنين قد رضيه الله للإتباع ولا يرضى الله إلا ما كان حقا يرضيه ويرضى عنه وأيضا قوله تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا }
ووجهَ الاستدلال أن منهج الأمة الوسط التي يحبها الله ويرتضيها شاهدة على منهج لا يتطرق إليه الخطأ ولا الضلال ومنه أيضاً قوله تعالى { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ }

قال: شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله ج13 صفحة 316

وهذا وصف لهم بأنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر كما وصف نبيهم بذلك في قوله [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] الأعراف 157

فلو قالت الأمة في الدين بما هو ضلال لكانت لم تأمر بالمعروف في ذلك ولم تنكر المنكر وتنهى عنه.

أما من السنة المطهرة ما رواه ابن ماجة من حديث أنس بن مالك قال:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ق يَقُولُ إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ فَإِذَا رَأَيْتُمْ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ * (رواه ابن ماجه) حسن لغيره

وما رواه الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ق قال: مَنْ نَزَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ فَلَا حُجَّةَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ مَاتَ مُفَارِقًا لِلْجَمَاعَةِ فَقَدْ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً * (رواه أحمد)

أما الأشخاص فالأمر كما قال: الإمام مالك رضي الله عنه كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر وأشار إلى قبر النبي ق .

فمن فهم ذلك علم أن منهج أهل السنة والجماعة منهج معصوم دون حاملي هذا المنهج بأعيانهم ولذلك كانت الفكرة في إخراج هذا الكتاب الذي يحمل أسس هذا المنهج في نقاط تحتاج إلى البيان والتوضيح وخاصة أن ذكر المنهج دون ذكر الأدلة لا يمثل قيمة في هذا الدين القويم الذي يقوم على الدليل – قال: الله قال: رسول الله ق .

فأرجو من الله التوفيق والقبول إنه الموفق والهادي إلى سواء السبيل فما كان من توفيق فمن الله وحده وما كان من زلل فمني ومن الشيطان ونسأل الله العفو والعافية والرضا والقبول.

كتبه أبو محمد

عبد الله بن عبد الحليم بن محمد السيسي

بسم الله الرحمن الرحيم

وكل شيء يبدأ باسم الله وحمده تعالى فإنما هو الأصل عند المسلمين إن يبدءوا كل شيء بذكر الله. وصفة المؤمنين أنهم يحمدون الله في الدنيا وفي الآخرة وعلى ذلك أدلة كثيرة منها.

قوله تعالى: { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ }[الزمر]

وبادئ ذي بدء نقول الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وكل شيء يبدأ بسم الله فإنه من فضائل شرعنا كما قال: الله لنبيه { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } ثم نثني بالحمد لله فإن الله افتتح القرآن أعظم كتاب في السماوات وفي الأرض بقوله { بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ {1} الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }

وعليه فإننا لابد وأن نفهم أن الله عز وجل أخبرنا في القرآن الكريم بأخبار يجب على كل مسلم مؤمن موحد أن يكون على يقين منها لأنها تجعلك تفهم الواقع الذي يدور من حولك دون حيرة ولا شك ولا ريبة وتجعلك تسلم الأمر لله وحده وتعلم يقينا أنه لن يحدث في كون الله إلا ما شاء الله (وهي المشيئة الكونية) وأن كل شيء في كون الله إنما هو بقدر كما قال ربنا عز وجل { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } [القمر:49]

ومن هذه الآيات التي أريد أن أذكر نفسي وإياك بها قول الله عز وجل { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ{36} لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [الأنفال: 36،37]

فالله عز وجل يقول [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] يشمل هذا كل الذين كفروا سواء كانوا كفارا أصليين أي لم يدخلوا في الإسلام أصلا أو دخلوا الإسلام ظاهرا ليكيدوا لأهله كما فعل عبدالله بن سبأ اليهودي أو

الذين كفروا من أهل الكتاب كما قال الله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ } [البينة:6] أو المنافقين الذين يظهرون غير ما يبطنون فيقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم كما قال تعالى { إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ{1} اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ{2} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ } [المنافقون]

فكلمة الذين كفروا تشمل كل هذه الأصناف من الناس ثم أخبرنا الله عز وجل عن شيء من أعمالهم التي اشتركوا فيها جميعا واجتمعوا عليها بسبب عداوتهم لدين الله عز وجل فقال { يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ } فكان الخبر من الله أنهم سينفقون أموالهم وحدد الله عز وجل الهدف الذي من أجله ينفقون أموالهم فقال لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ ثم قال الله عز وجل { فَسَيُنفِقُونَهَا } أي أن هذا واقع لا محالة ولن يستطيع أحد منعهم من ذلك لأن الله شاء ذلك قدرا لحكمة ذكرها الله في الآيات سنذكرها بعد قليل. إذن الإنفاق للصد عن سبيل الله جار ولن يستطيع أحد منعه ولكن الله عز وجل ذكر مآل ذلك الفعل وأثره على أصحابه فقال { ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً } أي أن هذا المال الذي أنفقوه لن يوصلهم إلى الغاية التي أنفقوا من أجلها وهي القضاء على الإسلام كدين يدين الناس به في قلوبهم وأعمالهم لله رب العالمين ولكن هم يريدون أن تقول أنا مسلم قل كيفما شئت ولكن لا يخرج هذا في سلوكك فتقول هذا سنة وهذا بدعة أو تقول هذا من الإسلام وهذا ليس من الإسلام أو تقول هذا حلال وهذا حرام أو هذا يجوز فعله وهذا لا يجوز فعله فهم لا يريدون ذلك ولا يريدون شيئا يميز بين الناس فيكون المسلم كالملحد في السلوك والمعاملات والاجتماعيات والاقتصاد ويسمونها مبادئ عامة أو حقوق إنسان وعند تطبيقها ليتهم عدلوا في تطبيقها رغم جورها وزيفها فالله أخبر أنها ستكون عليهم حسرة والله عز وجل قال { ثُمَّ } وثم هذه تفيد في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الترتيب والتراخي فبين الإنفاق والحسرة فترة من الزمن كم هي لا نعلمها ولكن الله يعلمها وقد أمرنا الله بدفع هذا القدر الكوني بقدر شرعي سنبينه قريبا بعد صفحات وقال الله عز وجل مبينا المآل

النهائي في الدنيا لهذه الفئة السابقة الذكر من الناس فقال { ثُمَّ يُغْلَبُونَ } أي أنهم سيفشلون في نهاية الأمر ولن يحققوا ما يريدون من الإنفاق الكثير ليصدوا عن سبيل الله ثم يكون مآلهم في الآخرة { وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ } وهذه هي نهايتهم المريرة والحتمية وهذا حكم الله فيهم وليس حكم أحد من الناس عليهم نسأل الله العفو والعافية.

ولكن يتبادر سؤال إلى الأذهان وهو

لماذا ترك الله الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيله؟

هنا يذكر الله عز وجل الحكمة من ذلك فيقول { لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ }

والله أعلم بالخبيث من الطيب ولكن ليظهر كل إنسان بما عنده لهذا الدين من محبة وعداوة بين الناس بعضهم بعضا وحتى يظهر المدعي ممن هو صادق في إيمانه ثم قال الله تعالى { وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }.

إن ما سبق إنما يكون من جهة إنفاق المال فما هو مآل استخدام القوة في غير محلها كما بينها الله عز وجل في القرآن الكريم

قال الله تعالى في سورة الأعراف مبينا أمر الطغاة وعلى رأسهم فرعون الذي توعد كل من خالفه فيما يريد بتقطيع الأيدي والأرجل والتصليب لكل من خالف أمره

{ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَـذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ {123} لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ {124}

فقالت الفئة المؤمنة { قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ {125}

ولكن ماذا ينقم منا فرعون ومن معه { وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ {126} فكان دعاء الفئة المؤمنة أن يفرغ الله عليهم الصبر ويصبه عليهم صبا

لما يلاقون من العذاب وشدة الأذي من فرعون وملائه ويطلبون من الله ألا يفتنوا مما يحدث لهم من هول ما هم فيه.

وعندئذ خرج الملأ الذين استخفهم فرعون كما قال الله تعالى { فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ } [الزخرف/54] ليدفعوا فرعون إلى ما يريد

{ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ } وكأن موسى وقومه هم المفسدون في الأرض وفرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى هو الذي على الحق وهذا من قلب الحقائق لتزيين الباطل على أنه حق وتشويه الحق على أنه باطل وقد قال الله عز وجل في حق فرعون في سورة غافر { وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ {37} وكما قال الله عز وجل في سورة غافر { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {23} إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ {24} فَلَمَّا جَاءهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاء الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ {25} وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ {26} وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ {27}

وفي هذا الموضع من سورة الأعراف { قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ {127} أي أن القوة معنا ولن نغلب على قوتنا وسنقهر كل أحد ولم يدر المسكين بل المساكين أن الله عز وجل قال {يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } [غافر:16] وقال أيضا { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } [الأنعام:18]

ولكن ماذا كان رد موسى على هذا التهديد والوعيد من فرعون وملائه؟ أخبرنا الله تعالى فقال { قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ {128} أي استعينوا بالله لتكون معية الله الخاصة معكم ومن كان الله معه لا غالب له وإن غُلِبْتُمْ فاعلموا أن هناك خلل لابد من إصلاحه فانظروا أين الخلل لعل الله يصلح شأنكم.

{ قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا } وكأنهم لا يعلمون أن المؤمن مبتلى كما قال تعالى { إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً }[الإنسان:2] وكما قال تعالى {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } [المائدة:48] وقال تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } [الأنعام:165] وقال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ } [هود:7] وقال تعالى { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ } [الملك:2] وقال تعالى { أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ } [العنكبوت:2]

ولكن كان رد موسى عليه السلام كما أخبرنا ربنا عز وجل

{ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ {129} والذي ينظر إلى الآية بفقه وفهم يعلم يقينا أن الذي بيده إهلاك العدو إنما هو الله عز وجل والواجب على الناس أن يأخذوا بالأسباب المشروعة التي يسرها الله لهم لدفع القدر الكوني بالقدر الشرعي مع العلم أن الأخذ بالأسباب لا يلزم منه ترتيب النتائج الحتمية لهذه الأسباب ونضرب لذلك أمثلة منها.

أن نوحا عليه السلام وهو نبي من أنبياء الله قام بواجب الدعوة إلى الله كما أمره ربه ولم يقصر في شيء ولا يجوز لأحد أن يعتقد أن نبيا من الأنبياء قصر في شيء مما أمره ربه به مصداقا لقول النبي ق فيما رواه مسلم من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ " كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ق فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ق الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ق فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ

يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ هَذِهِ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ : أَنْشُدُكَ اللَّهَ آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ق فَأَهْوَى إِلَى أُذُنَيْهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ، وَقَالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي، فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا، وَاللَّهُ يَقُولُ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ، قَالَ: فَسَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ : أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ " [مسلم: 1847]

فها هو النبي ق يخبرنا أن كل الأنبياء كان حقا عليهم أن يَدُلُّوا أقوامهم على كل خير يعلمونه لهم وينذرونهم من كل شر يعلمونه لهم ومنهم نوح عليه السلام الذي ظلت دعوته كما قال الله تعالى { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ } [العنكبوت:14] ألف سنة إلا خمسين عاما ولم يستطع نوح عليه السلام أن يدخل ولده في صفوف المؤمنين والسؤال

لماذا لم يستطع نوح عليه السلام أن يدخل ولده في صفوف المؤمنين؟

والجواب أن هذا ليس بيد نوح عليه السلام وإنما هو بيد الله عز وجل وإنما يسأل نوح عليه السلام عن الأسباب فقط.

وأمامنا أيضا قصة نبي الله يعقوب عليه السلام مع أولاده وقصة يوسف مع إخوته مشهورة معروفة فالأب واحد وأسباب التربية متقاربة ولكن تأتي النتائج مختلفة لأن النتائج ليست بيد نبي الله يعقوب

ولكنها بيد الله عز وجل، ويعقوب عليه السلام يسأل عن الأسباب فقط وأولاده كذلك يسألون عن الأسباب فما كان من أسباب الخير الذي شرعه الله يجازى الإنسان عليه بالخير من الله وما كان من أسباب الشر أيضا يكون الأمر فيه لله عز وجل يجازي به أو يعفو عنه فمرد الأمر إلى الله وحده.

وأمامنا أيضا نبي الله إبراهيم عليه السلام لما ولد له إسماعيل عليه السلام وأُمِرَ من الله عز وجل أن يترك إسماعيل وأمه بواد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم والمكان موحش ولا توجد أسباب للحياة كما يعرفها البشر ومع ذلك يطيع إبراهيم أمر ربه ويتركهم في هذا المكان وهو على يقين أن الله عز وجل يتولى أمرهما في السراء والضراء وحين البأس وتسلم هاجر أمرها لله عندما تعلم أن هذا أمر الله لزوجها إبراهيم وتقول [لن يضيعنا] ثم تمر السنون ويأتي أمر الله لإبراهيم ويرى في المنام أنه يذبح ولده ويعلم أن هذه الرؤيا من الله وأنها صادقة كما أخبر الله تعالى فقال { فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } [الصافات:102] فيسارع لتنفيذها ويذهب إلى ولده الذي لم تكن تحت يديه أسباب لتربيته ولا لتوجيهه إلا طاعة الله والدعاء له ثم يتوجه إليه بما رأى فلا يجد منه إلا الرضا والتسليم لأمر الله عز وجل ويقول { يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ }

ومن خلال هذه الأمثلة الثلاثة وغيرها يتبين لنا أن الإنسان يسأل بين يدي ربه عن الأخذ بالأسباب أما النتائج فليست لأحد من الخلق.

ثم يبين الله عز وجل أنه إذا أراد شيئا هيأ له أسبابه فقال سبحانه

{ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ {130}

أي أن من أسباب العقوبة لمن اتبع فرعون أن الله أجدب لهم الأرض فأصبحوا في ضيق من العيش وهي من أسباب النصر أيضا لموسى ومن معه لعل فرعون ومن معه يرجعون إلى الله ويتوبون.

ثم بين الله عز وجل صفة هؤلا الأقوام أنهم إذا جاءهم الخير قالوا هذا لأنه من صنع أيدينا ونضج عقولنا وإن جاءتهم سيئة قالوا هذا من موسى ومن معه لأنهم نذير شؤم بالنسبة لهم في كل الأحوال وهكذا كل من شابههم وفي هذا المعنى قال الله تعالى { فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ {131}

ولعلنا نكون قد فهمنا شيئا مما يدور حولنا وواقعنا الذي نعيشه من خلال كلام الله تعالى.

وتعالى بنا نطوف في الواجب الشرعي الذي أوجبه الله علينا.

فَإِنَّهُ لَمِنْ دَوَاعِي السُرُورِ وَالفَرَحِ أَنْ نَرَى شَبَابًا مُسْلِمًا ذَا نَضْرَةٍ فِي وَجْهِهِ مِنْ أَثَرِ الرضا والقناعة بطاعة الله عز وجل وطاعة النبي ق وهذا يبشر بالخير والسرور ولكن هذا الشباب الذي رُسمت على وجهه النُّضرة يحتاج إلى توجيه صحيح وإرشاد بصير بتفاصيل دين الله عز وجل فإن هذا الشباب يكون بين فكي كماشة

– إما أن يرشد إلى الطريق الصحيح فيبدأ تعلمه وتدينه بالطريقة الشرعية الصحيحة فيكون ثابتا عند المحن والابتلاءات نتيجة أنه تربى على أن الأمر لله والحكم لله وكل شيء يحدث في هذه الدنيا إنما هو بقدر الله عز وجل الكوني.

– وإما أن يصادف من يلهب عواطفه وحماسته ويزيدها اشتعالا فيجرف إلي أهواء النفس وتيارات الغلو فتصبح المبشرات والنضرة منقلبة رأسا على عقب فتسوء العاقبة ولا يجد المسلم طريقا أمامه أو سبيلا يسلكه إلا تذوق مرارة هذه الحماسة والعاطفة التي لم توجه إلى الطريق الصواب .

وعواقبها :

هي المغالاة في الأحكام والاتجاه إلى القوة بدلا من العلم والتعلم ، وسلوك مسلك السرية بدلا من الجهر والعلانية، والمداهنة بدلا من المواجهة بالأدلة ، وقس على ذلك في كل المناحي ولذلك نجد ساحة المسلمين الآن تعج بالخلاف بين طوائف شتى والكل مسلم أو ينتسب إلى الإسلام

– وبالتالي فإن المحصلة هي ضياع الشباب الصاعد واستنزاف قواه العقلية والمادية في غير موضعها الصحيح واستغلال أهل القوة والسلطان لهذا الضياع بالقضاء على قوة الشباب بدلا من توجيههم واتهامهم بأشنع الاتهامات التي لا تصنع شيئا في نهاية الأمر إلا تشويه صورة الإسلام عند ضعفاء الإيمان من المسلمين أو عند غير المسلمين من أعدائه وإتاحة الفرصة لهم بإلصاق التهم للإسلام وتشويهه وذلك بسبب أهله.

– ولذلك كان حريا بنا أن نضع الأمور في نصابها ونزن الأمور بميزان الشرع حتى ننال حب الله ورضاه أولا ثم نصر الله وتمكينه للمسلمين في شتى بقاع الأرض يقول الله عز وجل " وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا " [سورة النور]

ومن منطلق هذه الآية نبدأ الحديث حيث إن الله سبحانه وتعالى وعد فكان وعده حق لا يتخلف أبدا لأنه لا يخلف الميعاد.

والوعد لمن ؟

إنما هو للذين آمنوا وعملوا الصالحات أي طبقوا شرائع الإسلام ظاهرا وباطنا على أنفسهم أولا ولم يفرقوا بين الظاهر والباطن في شيء ولكن كان باطنهم لله عز وجل وظاهرهم مطابق لباطنهم فرؤيتهم تذكر بالله عز وجل لأنهم أحباب الله يضع الله لهم القبول في الأرض وذلك كما في الحديث الذي رواه الشيخان من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ق إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ قَالَ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ قَالَ فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ)) متفق عليه وهذا لفظ مسلم [برقم 2639] وأيضا رواه أحمد والدارمي

ولذلك كان وعد الله لهم وخاص بهم لأنهم آمنوا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ق نبيا ورسولا فالذين آمنوا بالله ربا صفتهم أنهم علموا يقينا بربوبية الله عز وجل لقول الله تعالى في سورة الكهف عن هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم ولكن قومهم نبذوهم نبذا وتفننوا في إيذائهم فقال الله عز وجل

" نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى "

فكانت أول صفة من صفاتهم أنهم آمنوا بربهم أي علموا أن الله تعالى رب يدبر الأمر ويرزق ويخلق ما يشاء ويقوم على الخلق ليل نهار ولا يغيب عنهم لحظة وهذا مطابق تماما لما كان من أمر نبي الله وخليله إبراهيم عليه السلام الذي أراد أن يحاج قومه للهداية فبين لهم كيفية التفكير لكي يهتدي إلى ربه فرأى كوكبا فقال " هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآَفِلِينَ " وفعل ذلك مع القمر ثم فعل ذلك مع الشمس فلما بين لهم أن صفات الرب لا تنطبق على هذه الكواكب قال " إِنِّي بَرِئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ " الآيات من 76:79 فكان لهؤلاء الفتية خاصية أو صفة وهي قوله تعالى " وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالأَرِضِ " فلما عرفوا ربهم عز وجل قالوا " لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا " ثم قالوا " هَؤُلاَءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آَلِهَةً لَوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ " فكان الدليل والبرهان هو الذي يريده الذين آمنوا بالله ربا لأن المسلم دائما يسأل عن الدليل والبرهان حتى لا يضل ويبتعد عن الصواب إذن هؤلاء الفتية وصلوا من الربوبية إلى الألوهية من خلال فهمهم لمعنى كلمة رب بأنه الذي يرزق ويدبر ويقوم على المخلوقات قياما تاما فيستلزم ذلك أن يعبد هذا الرب ولا تكون العبادة إلا له سبحانه وتعالى لأن المصير والمرجع والمآب إليه سبحانه وتعالى ولذلك كان لفظ الآية يقول

" وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ "

فكلمة منكم تدل على أن الوعد محقق في حق من ؟

الذي آمن إيمانا صادقا مع ربه وليس إيمانا مدعًا وظاهريا دون تطبيق في الواقع والصادق من ظهر ذلك في أعماله وأفعاله على هدى من نبي الله عز وجل فإذا توفرت هذه الشروط في الفئة المؤمنة تحقق الوعد لهم.

إذن فما هو الوعد ؟

" لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ " أي يمكن لهم في الأرض بأن يلقي الرعب في قلوب أعدائهم وينزل عليهم المهانة ويرفع الوهن من قلوب المؤمنين ويصرف السوء عنهم ويؤيدهم بنصره ويمكن لهم في الأرض ويجعلهم سادة كما قال الله عز وجل " وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ " [القصص]

فالله عز وجل هو الذي يُمَكِّنُ للمؤمنين ويكون ذلك منه مِنَّةً عليهم وما عليهم إلا أن يأخذوا بالأسباب التي تحت أيديهم ويخلصوا النية لله عز وجل فيكون الأمر بيد الله يصرفه كيف يشاء ثم نكمل الآية " وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ " وليس للمؤمن عزة في الدنيا أكبر من أن يكون دين الإسلام هو السائد في الأرض تحكم الأرض به فيسود العدل والطمأنينة والرضا بما يحكم الله به ولعل ذلك هو السبب الرئيسي والأول في مجاهدة المسلم وجهاده على طول الأزمان ليصل إلى هذه النقطة فالطريق سهل ويسير ولا حاجة لنا إلى التكلف وتحميل النفس ما لا تطيق " لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَ وُسْعَهَا " ثم يقول الله عز وجل " وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا " وهذه من أعظم الأماني للمسلم أن يعيش في أمان لا يخاف إلا الله عز وجل بل ويكون عزيزا في أي وقت وفي كل مكان وتحت أي ظرف فالله هو القادر على أن يجعل هذا الأمر لا غيره ولكن هذا الأمر لكي يتحقق لابد وأن ننظر إلى ختام الآية فالله عز وجل يقول بعد ذكر هذا الوعد " يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا " فهذا هو الأمر الذي لم تستطع أمة الإسلام أن تحققه فلذلك تأخر الوعد عنهم وتعالوا بنا نحاول أن نحصي بعض مظاهر الشرك التي يجب أن تنتهي.

نذكرها إجمالا ثم نفصلها.وهذا منهج للإصلاح يجب تطبيقه دعوة وسلوكا

1 – عبادة غير الله عز وجل لأن عبادة الله وحده واجبة على كل مؤمن.

2 – ادعاء علم الغيب لغير الله عز وجل.

3 – التشريع من دون الله عز وجل [فيما يخص أمر الدين] أما الدنيا فلها شأن آخر

4 – التفرق إلى أحزاب وشيع .

5 – عدم ضبط كل شيء في الحياة بميزان الشرع دون التعديل على أمر الله عز وجل

6 – عدم الأخذ على يد كل مخالف بالحجة والدليل والبرهان أيا كان شخصه

هذه ستة عناصر وإليك التفصيل بالأدلة

1 – عبادة الله وحده واجبة على كل مؤمن

فعندما يشرك مع الله غيره في الدعاء فيقف الناس بين جدران عند المقبورين ويرفعون أيديهم متضرعين خاشعين يطلبون من المقبورين ما لا يطلب ولا يقدر عليه إلا الله عز وجل بحجة أن هؤلاء من أولياء الله الصالحين فنأخذهم وسيلة وواسطة بيننا وبين الله عز وجل مع أن الله تعالى قال في كتابه " وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ وقال الله عز وجل وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِي فَإِنِي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ " وذلك كله لأن الله عز وجل لا يجب أن يكون له شريك في الملك ولا في الخلق ولا في الأمر ولا في الحكم ولا في حق العبادة والنبي يقول ((الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ)) [رواه الترمذي:2969]

أي أن الدعاء هو الأصل في عبادة الله عز وجل فالذي يصرف الدعاء لغير الله فإنما يعبد غير الله فهذا ليس من الإسلام وفاعله ليس من المسلمين إلا إذا كان يجهل حكم هذا الفعل [أي لم يصله هذا الحكم]

والذي يريد أن يستجاب دعاؤه فالله تعالى قد بين شروط وأسباب استجابة الدعاء فقال " فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ "

فالشرط الاستجابة لله عز وجل وطاعته فيما يقول ويأمر وينهى وطاعة نبيه ق مع الإيمان بالله إيمانا يقينيا فيجعله الله على طريق الرشاد.

2 – ادعاء علم الغيب لغير الله عز وجل

– وهذا نوع آخر من أنواع الشرك الذي يجب أن تنتهي عنه أمة الإسلام لكي يتحقق الوعد فيهم وهذا النوع من الشرك منتشر حتى بين المثقفين من الناس فإنهم يصدقون الكهنة والسحرة والدجالين فيما يشعوذون به على الناس ويوهمونهم بأوهام لا نهاية لها ومع ذلك يتركون على مرأى ومسمع ولا يحاسبون على شيء مما يفعلون مع أن هذا قادح في الإسلام لأنهم يدعون معرفة الغيب وهذا ما جعله الله عز وجل إلا لنفسه فقال تعالى " قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَ اللهَ " (النحل)

وأيضا أخبر الله بعض خلقه من الرسل ببعض الغيب فكان هذا خاص بهم ألم تسمع قول الله عز وجل في سورة يوسف " ذَلِكَ مِن أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ " وقوله تعالى " عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَ مَنْ ارْتَضَى مِن رَسُولٍ "

فأخبر الله بعض الغيب للرسل بإطلاع الله لهم عليه وإخباره إياهم به فإذا ادعى بعض الناس معرفة الغيب وصدقهم الناس.

فهل هذا يعد من مبشرات قدوم النصر؟

أم أنه من المنذرات بتأخر النصر؟

والجواب : إن وعد الله لا يتخلف ولكن الوعد مشروط فإذا تحقق الشرط أتى الوعد وإن تخلف الشرط تأخر الوعد ومن هنا كان الواجب علينا أن نعلم إن ادعاء علم الغيب من المنذرات بتأخر النصر فهلا قامت أمة الإسلام بدلا من أن يختلفوا ويتناحروا على أمور خلافية ويجعلون منها قضايا يوالون ويعادون عليها فيقومون قيام رجل واحد يدعون إلى تطهير الأمة من هذا الشرك (بالدعوة إلى الله عز وجل بصورة منهجية صحيحة إلى التوحيد الخالص وإصلاح العقائد المنحرفة التي علقت بقلوب الناس وأصبحت عندهم أمرا مألوفا) حتى يتحقق الوعد بالنصر من الله عز وجل

كما قال تعالى" وَمَا النَّصْرُ إِلاَ مِنْ عِندِ اللهِ وقال تعالى " إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ " فيا أمة الإسلام بناء العقيدة الصحيحة أساس تصحيح المسار وبغيره لا فلاح ولا نجاح.

3 – التشريع من دون الله عز وجل [فيما يخص الدين]

ويدخل تحت هذا من يبتدع في الدين سواء بالزيادة أو النقصان فقد قال الله عز وجل شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ فالتشريع ما جاء عن الله عز وجل في القرآن وما جاء من قِبَلِ النبي ق والدين كله واحد من حيث العقيدة ولكن الشرائع متعددة كما قال النبي ق في الحديث الذي رواه مسلم بمن حديث أَبي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ق ((أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ قَالُوا كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ)) [مسلم:2367]

– فالأصل في كل الأمم منذ آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد ق عبادة الله عز وجل وحده وأن الله إله واحد فالدين من حيث العقائد واحد ولكن تختلف الأحكام في بعض الأمور فهذه شرائع قال تعالى {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } [المائدة:48] ولكن أصل الدين من حيث العقائد لا يتغير فقد قال الله عز وجل اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وهذا جاء على لسان كل الرسل وقد قال ربنا عز وجل أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ ويدخل تحتها من يسن القوانين التي تخالف الشرع الحكيم فهذا أمر يجب أن ينتبه إليه وقد قال القائل في نظم شعري جميل

اعلم هداك الله أن السنة طريقة موصلة للجنة

وحدها أعمال سيد البشر وقوله وما عليه قد أقر

وهي تعم الفرض والمندوبا وما يرى في ديننا مرغوبا

وكل ما في الدين من شيء وجد   ولم يكن في عصر طه قد عهد

فإنه البدعة فاحذرنها   ولا تقاربها وفر منها

فقد أتى عن صاحب الرسالة   أن كل بدعة ضلالة

من أجل ذا قدحرمت في الدين   نصا بقول المصطفى الأمين

فلم يُجَوِّزْ قربة ببدعة   وكل أمر لم يوافق شرعه

وكل مشروع له كيفيته   في ديننا صحيحة مرعية

فالزم بها يا صاح واحفظنها   واحذر هُدِيتَ أن تزيغ عنها

لا تعبد الله بغير ما شرع   لأنه حرم في الدين البدع

وخذ دليل الحصر إن سألتا   عنه بـ فاستقم كما أمرت

مخاطبا للمصطفى ومن معه   لا يعبدوا الله بما لم يشرعه

وأكد الأمر بنهي ظاهر   فقال لا تطغوا على الأوامر

فكل ما أتى به الرسول   فعلا وإقرارا وما يقول

فواجب قبوله وأخذه   وما نهى عنه الرسول فانتهوا

فحري بنا أن نقرأ هذه الأبيات ونحفظها ففيها كلام طيب مفيد .

وقوله في البيت الرابع ولم يكن في عصر طه قد عهد فكلمة طه ليست من أسماء النبي ق وإنما هي من الحروف المقطعة في القرآن وليس معنى أن تأتي الآية التي بعدها ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أن يكون من أسماء النبي طه فقد قال الله عز وجل " حَم عَسِقَ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "

فهل يلزم من ذلك أن يكون النبي اسمه حم عسق من أجل أن الضمير جاء بعدها في قوله كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ . [انتبه]

وإن من أهم الأسباب التي جمعت مظاهر الشرك كلها ما فعله أعداء الإسلام في بلاد المسلمين من زرع سنة أهل الكتاب من اتخاذ القبور مساجد ودفن المشاهير في قبور في داخل المساجد أو بناء المساجد حولها فيبدأ الطواف حول القبر لينال الناس البركة والدعاء لإجابة الدعاء والطلبات المرجوة لكل واحد منهم ثم ينذر الناس لهم من النذور ما شاء الله مع أن النذر لا يكون إلا لله عز وجل ثم يستشفعون عندهم بقضاء الحوائج ثم يستغيثون بهم عند الشدائد وذلك لا يكون إلا بالله عز وجل ثم يتحرون الصلاة عند قبورهم أو في البقع التي تنسب إليهم لنيل البركة ورجاء رضاهم فعندئذ نكون قد جمعنا الشر كله والشرك كله في مظهر واحد دبر له أعداء الإسلام وكادوا للمسلمين وأحكموا التدبير وتبعهم المسلمون فيما فعلوا فوصل حال الأمة إلى أقصى ما يمكن الوصول إليه من التدهور العقائدي والأخلاقي مع بقاء الاسم الظاهر لهم وكل شيء من الشرك يرتكب باسم محبة الأولياء وحبا في رسول الله ق ..... الخ

ولو تخيلت معي الصورة بعين فاحصة لعلمت أن واجب الدعاة إلى الله عز وجل بشتى صورهم وأشكالهم كبارا كانوا أم صغارا إن أرادوا الحق والنصر فعليهم بالدعوة إلى توحيد الله عز وجل وهدم الشرك بكل صوره وألوانه وهذا لا يكون بمحاولة نزول صاحب الكرسي من على كرسيه أو قتل فلان للاستراحة من شره أو تفتعل الأفاعيل ليسب بعضنا بعضا ويكون شغلنا الشاغل النقد لغيرنا بغرض هدمه ولكن يكون النقد بغرض النصيحة والإصلاح ولكن بأن نبذل قصارى جهدنا في دعوة الناس إلى طمس ونبذ كل ألوان الشرك المنتشرة في الأمة فيرفع الله من شأننا ويصلح حالنا لأن الله تعالى يقول " إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ "

فالطريق يبدأ بإخلاص النية لله عز وجل في الدعوة وعدم استعجال النتائج لأن النتائج بيد الله عز وجل وليست بيد أحد فلابد من السير على المنهج الصحيح لكي نصل إلى النتائج المرجوة بإذن الله عز وجل لأنها بيده . إذن الأمر كله يتركز في مسألة إزالة الأضرحة الموجودة بداخل المساجد أو

هدم المساجد المبنية حول القبور لإزالة أنواع الشرك التي تحدث بسببها (وذلك بدعوة الناس إلى ترك الطواف والدعاء والاستغاثة وطلب الشفاء من المقبورين في داخل المساجد أو خارجها وترك الصلاة في المساجد التي بداخلها قبر أيا كان موقعه في القبلة أو في الخلف) وأركز وأقول وأؤكد مرة أخرى إن الشرك الذي دب في الأمة هو سبب تخلفها وتدهورها في كل مناحي الأمور الدينية والدنيوية فلابد من القضاء على هذا الكابوس الذي أرخى ستره على الأمة بل وأصبح في حماية وأمن

.

والاحتجاج بمسجد النبي ق وأن القبر بداخله للرد على هذه الشبهة التي يتمسك بها أصحاب الأفهام السقيمة وأهل الضلال الذين ضلوا أنفسهم وأضلوا غيرهم من العوام والسذج من المسلمين نقول مستعينين بالله عز وجل.

إن مسجد النبي ق قد بناه النبي ق وهو حي عندما هاجر من مكة إلى المدينة فكان أول شيء اعتنى به الرسول ق أن يبني مسجدا ليربي فيه الرجال الذين اصطفاهم الله عز وجل لنصرة دينه وليقوم فيه بواجب العبادة لله عز وجل وكان هذا في مكان به حائط أي [حديقة أو بستان] لبني النجار فبعث إليهم النبي ق أن ثامنوني بحائطكم هذا أي بيعوني إياه ولكنهم رفضوا ذلك وجعلوا المكان هبة لله

وقد ذكر ذلك البخاري في صحيحه برقم [410] من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَدِمَ النَّبِيُّ ق الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ أَعْلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو ابْنِ عَوْفٍ فَأَقَامَ النَّبِيُّ ق فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ق عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ وَمَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ وَأَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالَ يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا قَالُوا لَا وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ فَقَالَ أَنَسٌ فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ وَفِيهِ خَرِبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ فَأَمَرَ النَّبِيُّ ق بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ ثُمَّ بِالْخَرِبِ فَسُوِّيَتْ

وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الْحِجَارَةَ وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَالنَّبِيُّ ق مَعَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ

اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ *

وقد كان في هذا المكان أشجار ونخل وبعض قبور المشركين فكان أول شيء فعله النبي ق أن نبش هذه القبور وسواها بالأرض ومحا أثرها كقبور ثم أقام المسجد وبدأ فيه تربية الصحابة تربية ما قبل أن يموت أن المساجد لله لا يجب أن يدعى حدث لها مثيل في تربية الأفراد ثم بين النبي ق فيها أحد مع الله عز وجل كما قال ربنا سبحانه وتعالى " وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا " [الجن]

فقال النبي ق كما روى البخاري في الحديث رقم [409] من حديث عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ ق فَقَالَ إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ *))

وقد روى مسلم في صحيحه في الحديث رقم [823] من حديث عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ق فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ قَالَتْ فَلَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَلَوْلَا ذَاكَ لَمْ يَذْكُرْ قَالَتْ *

فكان لزاما أن نأخذ العبرة والعظة من كلام النبي ق لأنه هو المبين لمراد الله في الأرض الموضح لآيات الله عز وجل والنبي ق حذر من صنع أهل الكتاب وهو بناء المساجد حول القبور أو إدخال القبور إلى المساجد بقول عائشة يحذر ما صنعوا فإنه ق إنما يحذر المسلمين وليس غيرهم فمن فعل فعلهم فقد أخذ نفس الحكم وهو اللعنة من الله عز وجل وأنهم شرار الخلق عند الله فلعنهم الله تعالى ولعنهم الرسول ق على تحري الصلاة عند هذه القبور أو المساجد المبنية حولها وإن كان المصلي إنما يقصد الصلاة لله فإن من يصلي عند القبور ويتخذها مساجد فهو ملعون لأنه

زريعة إلى عبادته وصرف ما لله لغير الله عز وجل فكيف إذا وقف الناس عبد أهل القبور الغائبين والتعبد عندهم بأنواع العبادة وسألهم ما لا قدرة لهم عليه وهذه هي الغاية التي يكون اتخاذ القبور مساجد زريعة إليها واللعنة ليست مختصة باليهود والنصارى بل تعم من فعل فعلهم وما هو أعظم منه وهذا هو الذي أراده ﷺ من لعنة اليهود والنصارى على هذا الفعل تحذيرا لأمته أن يفعلوا ما فعلته ((وَلَوْلاَ ذَلِكَ لأُبْرِزَ قَبْرُهُ)) أي ما كان يحذر اليهود والنصارى فيقع بهم من اللعنة ما وقع بهم وقوله من اتخاذ قبر النبي ﷺ مسجدا لأبرز قبره مع قبور أصحابه بالبقيع وقوله غير أنه خشي أن يُتَّخَذَ مسجدا وكلمة خشي رويت بالفتح على الخاء فيكون المعنى أن النبي ﷺ هو الذي خشي أن يتخذ قبره مسجدا وعلى الرواية بالضم يكون المعنى أن الصحابة هم الذين خشوا أن يقع ذلك من بعض الأمة فلم يبرزوا قبره خشية أن يحدث ذلك من بعض الأمة غلوا وتعظيما لذلك أفاض النبي ﷺ في هذه المسألة وأعاد وأكثر من النهي والتحذير ولعن فاعله فبذلك صان الله قبر نبيه ﷺ وقبل دعوته بقوله ﷺ كما في الموطأ للإمام مالك تحت رقم [376] : وحَدَّثَنِي عَنْ مَالِك عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ((اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)) [رواه الإمام مالك في الموطأ]

وقد روى الإمام مسلم من حديث جُنْدَبٌ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ * [مسلم:534]

فلمن كان النهي ؟ وعن أي شيء نهاهم ؟

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

أما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عنه للأحاديث الصحيحة وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه قال ولا ريب في القطع بتحريمه. ثم ذكر

الأحاديث الدالة على ذلك منها الأحاديث السابقة إلى أن قال وهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم تتعين إزالتها بهدم أو غيره هذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين

ومن هذه الأحاديث نخرج بفوائد ومسائل منها

1 – حكم الله تعالى وبيان رسوله فيمن بنى مسجدا على قبر سواء كان قبر نبي أو رجل صالح ولو صحت نية الفاعل.

2 – النهي عن صناعة التماثيل وتغليظ الأمر فيها لسد الذرائع إلى الشرك.

3 – العبرة في مبالغته ق في ذلك وكيف بين لهم هذا أولا ثم قبل موته بخمس قال ما قال ثم لما كان النزع ومرض الموت أكد وبين ولم يكتفي بما قاله أولا.

4 – نهيه عن التعظيم لقبره أو عند قبره قبل أن يوجد القبر وقال ((اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ)) أي يطوف الناس حوله ويقبلون أحجاره وينذرون إليه ويشدون الرحال من أجله إلخ.

5 – إن هذا الفعل من سنة اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

6 – لعنهم الله على فعلهم هذا على لسان النبي ق ومن تبعهم في فعلهم من المسلمين.

7 – إن مراده ق تحذيرنا أن نفعل بقبره كما فعلت اليهود والنصارى.

8 – العلة في عدم إبراز قبره.

9 – معنى اتخاذ القبر مسجدا.

10 – أنه ق قرن بين من اتخذها مسجدا وبين من تقوم عليهم الساعة فذكر الزريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع بيان خاتمته

نعود مرة أخرى فنقول إن النبي ق بين هذا الأمر ووضحه وضوحا شديدا لما فيه من الخطورة ولذلك قال النبي ق كما قال أبو بكر في الحديث الذي رواه الإمام أحمد برقم [27] : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ق لَمْ يَدْرُوا أَيْنَ يَقْبُرُونَ النَّبِيَّ ق حَتَّى قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ق يَقُولُ لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ فَأَخَّرُوا فِرَاشَهُ وَحَفَرُوا لَهُ تَحْتَ فِرَاشِهِ))

ليبين لهم كيف يفعلون به بعد موته خشية أن يغالوا فيه فتقع الكارثة وقد وقعت فلما مرض النبي ق واشتد عليه المرض استأذن نساءه أن يمرض في حجرة عائشة أي يظل في بيتها أيام مرضه فَأَذِنَّ له وهذا يدل على حبهم الشديد لرسول الله ق فلما كان اليوم الذي مات فيه كانت رأسه الشريف في حجر عائشة وعائشة تحمل رأسه على يدها على صدرها ومات وهو على هذه الحال فلذلك كان لزاما على الصحابة أن يتبعوا هدي النبي ق في أن يدفنوه حيث مات فجهز الصحابة رسول الله ق للدفن ودفنوه في حجرة عائشة وكانت أبيات النبي ق ملاصقة للمسجد ولا علاقة لها بالمسجد هذا بيت وهذا مسجد وبعد أن تولى أبو بكر الخلافة – وكانت خلافته لمدة سنتين – انشغل فيها بالحروب لهؤلاء الذين منعوا الزكاة والذين ارتدوا فلم يوسع في المسجد شيئا فلما توفي أبو بكر وتولى الخلافة عمر بن الخطاب ووجد أن المسلمين قد ضاق بهم المسجد فقام بتوسعة المسجد من جهتين وترك الجهة التي التصق بها البيت النبوي – وكانت خلافته – ثم لما مات عمر تولى الخلافة عثمان بن عفان فرأى أن المسجد قد ضاق – لمدة عشر سنوات أو يزيد قليلا – بالمسلمين فقام بتوسعة المسجد من الجهات الثلاث وترك الجهة التي كانت ملاصقة للبيت وخلال هذه التوسعة التي كانت في عهد عمر والتي كانت في عهد عثمان لم يتغير الوضع وظل كما تركه النبي ق – وإذا كان النبي ق قد قال ((عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيينَ مِن بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))

كما روى الإمام أحمد في مسنده في الحديث رقم [16522] : حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ قَالَا

أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ) ، فَسَلَّمْنَا وَقُلْنَا أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ فَقَالَ عِرْبَاضٌ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ق الصُّبْحَ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا فَقَالَ ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))

فإن الخلفاء لم يغيروا شيئا ولم يدخلوا القبر في المسجد ولا البيت ولم يمسوا البيت بأي تغيير ثم لما توفي عثمان بعد الفتنة التي حدثت وقتلوه انتقلت الخلافة إلى علي بن أبي طالب وحدث الخلاف بين علي ومعاوية وكانت الخلافة منعقدة لعلي ولكن لأمور كثيرة ليس هذا موضع توضيحها انتقلت الخلافة لمعاوية وإن كان معاوية قد أخطأ وقد أخطأ بالفعل (والصحابة ليسوا بمعصومين) ولكن القاعدة عند أهل السنة أن الصحابة كلهم عدول فلا يجوز التجريح في أحدهم فقد قال الله تعالى " رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ "

ومعاوية كان من كتاب الوحي للنبي ق فلذلك وجب علينا أن لا نجرح في أحدهم ولكن نبين أخطاءهم .

ولكن كان خطأ معاوية أن جعل الخلافة من بعده بالوصية لابنه يزيد ولم يكن أهلا لها فقد حدث في عهده مظالم وفتن عظيمة

وإليك شيئا مما ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء من ترجمة يزيد بن معاوية قال : هو ابن أبي سفيان بن حرب بن أمية الخليفة أبو خالد القرشي الأموي الدمشقي له على هناته حسنة وهي غزو القسطنطينية وكان أمير ذلك الجيش وفيهم مثل أبي أيوب الأنصاري .

عقد له أبوه بولاية العهد من بعده فتسلم الملك عند موت أبيه في رجب سنة ستين وله ثلاث وثلاثون سنة فكانت دولته أقل من أربع سنين ولم يمهله الله على فعله بأهل المدينة لما خلعوه فقام بعده ولده نحوا من أربعين يوما ومات وابنه هو أبو ليلى معاوية ابن يزيد عاش عشرين سنة وكان خيرا من أبيه أي خيرا من يزيد بن معاوية

ويزيد ممن لا نسبه ولا نحبه وله نظراء من خلفاء الدولتين وكذلك في ملوك النواحي بل فيهم من هو شر منه وإنما عظم الخطب لكونه ولي بعد وفاة النبي ق بتسع وأربعين سنة والعهد قريب والصحابة موجودون كابن عمر الذي كان أولى بالأمر منه ومن أبيه وجده

وعن محمد بن أحمد بن مسمع قال سكر يزيد فقام يرقص فسقط على رأسه فانشق وبدا دماغه .

قلت كان قويا شجاعا ذا رأي وحزم وفطنة وفصاحة وله شعر جيد وكان ناصبيا فظا غليظا جلفا يتناول المسكر ويفعل المنكر افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين واختتمها بواقعة الحرة

فمقته الناس ولم يبارك في عمرة وخرج عليه غير واحد بعد الحسين كأهل المدنية لما كانت واقعة الحرة حيث انتهك حرمة مسجد النبي ق .

فلما وصلت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان وأوصى بها لابنه الوليد بن عبد الملك

وإليك أيضا شيئا مما ذكره الذهبي في سيره في ترجمته قال هو الخليفة أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي الدمشقي الذي أنشأ جامع بني أمية بويع بعهد من أبيه وكان مترفا دميما سائل الأنف طويلا أسمر بوجهه أثر جدري في عنفقته شيب يتبختر في مشيته وكان قليل العلم وظهرت بصمته في البناء أنشأ مسجد رسول الله ق وزخرفه (وهذا منهي عنه) ورزق في دولته سعادة وكان لحنة وحرص على النحو أشهرا فما نفع وقيل إنه قرأ على المنبر يا ليتها بالضم وكان فيه عسف وجبروت وقيام بأمر الخلافة.

فإذا به يجد أن الناس ينصرفون عنه ويلتفون حول أولاد الحسن والحسين فأراد أن يكيد لهم فأمر عمر بن عبد العزيز واليه على المدينة أن يشتري أبيات النبي ق ويدخلها في المسجد بحجة توسعته فاستشار عمر بن عبد العزيز أهل العلم الموجودين في زمنه فلم يوافقوا على هذا الفعل ولكن الوليد نفذ رأيه على رغم اعتراض العلماء ليكيد لأهل بيت النبي أولاد الحسن والحسين ومن هنا بدأت المصائب تتنزل على المسلمين ليس لأن الناس طافوا حول قبر النبي ق أو نذروا له ولكن لأنه بعد زمن دخل أعداء الإسلام من اليهود الذين تظاهروا بالإسلام والتشيع لعلي بن أبي طالب وذلك في عهد العبيديين فأدخلوا القبور في المساجد وبنوا المشاهد والقباب واخترعوا الموالد وأدخلت كل المفاسد باسم الدين وإذا اعترض معترض احتجوا عليه بمسجد النبي ق والذي فعل به ذلك إنما هو الوليد بن عبد الملك بجهله وظلمه وجبروته ومن هنا دب الشرك بكل ألوانه وأشكاله وأنواعه وطرقه في أمة الإسلام وذلك كله باسم الدين وحب الرسول وأولياء الله الصالحين فهلا من عقلاء يميزون بين الحق والباطل ويرفعون الشرك من قلوب المسلمين ويعلمونهم الدين الحق الذي جاء به رسول الله محمد ق وتبعه الصحابة الذين قال الله فيهم " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ " فهيا نحاول أن نتعرف على طريقة الإصلاح مستعينين بالله عز وجل مهتدين بهدي رسول الله ق

1 – طلب العلم النافع من مصادره الصحيحة

وذلك على يد العلماء والمشايخ العاملين الذين لا يريدون عرض الدنيا ولا يخافون في الله لومة لائم (ولا أقصد بذلك من كان صوته عال ولا من كانت شجاعته في السب واللعن والقذف والنقد وإنما أقصد العالم صاحب الحكمة الذي يقول كلمة الحق عندما يغلب على ظنه أنها تأتي بمصلحة راجحة ويسكت عنها مؤقتا إن غلب على ظنه أنها يحصل من ورائها مفسدة أعظم) .

وطلب العلم كما علمنا الرسول ق فريضة على كل مسلم كما قال ق في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام ابن ماجة برقم [220] من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ق ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ))

وطلب العلم ينير لك الطريق أولا فتعرف به السنة والبدعة والكفر والإسلام والنفاق والحق والباطل وتصل به إلى رضوان الله عز وجل في الدنيا والآخرة وذلك كما قال النبي ق في الحديث الذي رواه مسلم برقم [4867] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ق مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))

وقال الله عز وجل ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)) فالله يقول يرفع الله الذين آمنوا منكم فلنلاحظ قوله تعالى " آمَنُوا مِنكُمْ " وقال في أول الآية " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا " [فلننتبه]

نادي المؤمنين ثم خص منهم طائفة أي الذين آمنوا الإيمان الحقيقي وعملوا به على مراد الله عز وجل ثم ردف ذلك بقوله وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ فهل من متدبر أو معتبر بمعنى الآية الجميل الذي يوحي بأن لله في خلقه أصفياء والله سبحانه وتعالى يقول " إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " والعلماء هنا ليست بمعنى الفطاحل المشهورون بالثقافة والعلم ولكن تخص ويندرج تحتها كل من تعلم أمر دينه من مصدره الصحيح وبالطريقة الشرعية فالذي يعلم مراد الله من أمره وتشريعه هو الذي يستطيع أن ينفذ الأمر كما يريد الله عز وجل لأن العلم بالشيء يجعل الإنسان يحسن صنعه وقد قال القائل عن التمسك بالدين وتحصيل العلم

فيا أيها الأخ المؤكد إخاؤه   تمسك بأصل الدين سامي الشعائر

وكن باذلا للجد في طلب الهدى   من العلم إن العلم خير الزخائر

وبالعلم ينجو المرء من شرك الردى   ويسمو بالتقوى لشأو المفاخر

ويرسب في قصر الحضيض مجانب   لأسبابه اللاتي سمت بالأطاهر

وما العلم إلا الاتباع وضده   فذاك ابتداع من عضال الكبائر

وتقديمه شرط وقد قيل إنه   لثالث أركان التوحيد قاهر

وتقديم أراء الرجال وخرصها   عليه ضلال موبق في النهابر

والنهابر :اسم لجهنم والمراد بها جهنم

2- الابتعاد عن كل أمور الشرك

وتحذير الناس منها بشتى الطرق ولا فرق بين كبير الشرك وصغيره لأن الكل في نهاية الأمر شرك كما قال الله عز وجل " يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا فكلمة شيئا نكرة تعم كل أنواع الشرك وقال الله عز وجل إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ " فلابد من هدم الشرك بكل أشكاله وألوانه ومظاهره والدواعي إليه لأن دين الإسلام قائم على سد الذرائع وسد الطرق المؤدية إلى ما ينافي الدين ومعرفة الشرك من التوحيد لا يكون إلا بالعلم الذي تحدثنا عنه أولا فالله سبحانه وتعالى قال " فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ " [سورة محمد]

فليس بعد قول الله تعالى " فَاعْلَمْ " قول فالله هو الآمر بأن نتعلم معنى كلمة التوحيد التي تنطقها في كل وقت وحين سواء منا من يدري معناها ومقتضياتها ومنا من لا يدري منها إلا كيفية نطقها أو المعنى السطحي لها وقد كانت أول عبارة قيلت للنبي ق من قبل الله عز وجل " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ "

ألا يدلنا ذلك على أن أول أمر للنبي ق كان بالقراءة على أن العلم هو السبب الرئيسي في توحيد الله عز وجل توحيدا صحيحا صافيا نقيا من شوائب الشرك وذلك نتيجة لمعرفة ما هو التوحيد وما هو الشرك ثم قال الله عز وجل بعدها كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أي أن الإنسان بدون علم يطغى ويظلم ويتجاوز الحد لأنه يتصرف بجهل فيضر نفسه ويضر الناس معه والشرك هو السبب الرئيسي في تأخر وعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين والتأمين من الخوف وقد قال القائل ما نصه

وقدم العلم بكل حال

بالشرع والعقل على الأعمال

إذ ذاك شرط عند أهل الدين

لصحة الأعمال واليقين

وهاك فاعلم أنه دليلا

ولن تجد لنقضه سبيلا

وقدم العلم على استغفاره

لأنه كالشرط في اعتباره

والعلم بالتوحيد من كل أهم

والابتداء بالأهم ملتزم

لأنه علم الصفات الواجبة

وهي التي لله حقا واجبة

والجهل بالتوحيد أضر ما يورث

قلب المرء في الدين العمى

فليس يخشى الله إلا العلما

قد جاء في القرءان نصا علما

والجهل لا ينتج إلا شرا

والعلم لا يثمر إلا برا

3 – إنهاء فكرة التعصب المذهبي

وهذا التعصب إنما جاء تقليدا أعمى لأناس لم يَدَّعِ واحد منهم العصمة لنفسه بل تبرأ كل واحد منهم من ذلك ولنعلم أن هؤلاء الأئمة العظام هم رؤوس أهل السنة في زمانهم وهم حملة العلم وأهله إلى الناس ولكن الذي حدث أن الناس جعلوا كلام هؤلاء الأئمة قرآنا منزلا لا يجوز مخالفته حتى ولو كان قول الإمام مخالفا لأدلة الكتاب والسنة فبذلك تفرق الناس وأصبح الخلاف بينهم شديد بسبب التعصب الممقوت لكلام هؤلاء الأئمة ومع ذلك لابد من بيان طريقة هؤلاء الأئمة في مسائل الشرع

.

فلو نظرت إلى الأئمة من حيث ترتيب الوجود لعلمت أن أولهم وجودا هو الإمام أبو حنيفة الذي ولد في عام 80 هجرية وكان بالعراق فكان قريبا من العهد النبوي ولذا كان عدد الأحاديث التي لم تصله كثيرة جدا فكان يبني الأحكام على حسب ما وصله من الأحاديث فكان يجتهد اجتهادا واسعا في تحصيل الحكم مع إعمال العقل في استخراج واستنباط الحكم من الأحاديث التي وصلته فبذلك جاءت بعض الأحكام واجتهاداته مخالفة للسنة ولم يكن هذا عن تعمد وإنما كان ذلك باجتهاد محمود لا مذموم ولذلك ينطبق عليه حديث النبي ق الذي رواه الإمام أحمد برقم [5286] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ق إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ *))

فأتى التلاميذ من بعده فنقلوا كلامه وظنوا أن هذه الأحكام لا يجوز مخالفتها حتى ولو تبين أنها تخالف أدلة الكتاب والسنة وهناك رسالة قيمة يجب على كل طالب علم أن يقرأ هذه الرسالة وهي بعنوان [رفع الملام عن الأئمة الأعلام] لابن تيمية وليس معنى ذلك أن نقول لا يجوز التقليد مطلقا فهذا القول فيه غلو ولا يؤيده الواقع العملي لأن الناس متفاوتون فمنهم العالم الذي يستطيع الاستنباط ومنهم طالب العلم الذي يستطيع أن يرجح بين الأقوال ومعرفة الأدلة الشرعية ومنهم أنصاف المتعلمين الذين لا يستطيعون التمييز بين الصحيح والضعيف ولا يستطيعون الترجيح بين أدلة

الشرع ومنهم من لا يقرأ ولا يكتب فلا يستطيع أن يميز بين أقوال أهل العلم بل ربما لا يصله كلام أهل العلم.

فالتقليد له شروط ومواضع فيمكن الانتساب إلى مذهب انتسابا مؤقتا من أجل تنظيم الدراسة مع بيان ذلك للطالب حتى يتسنى له معرفة الأدلة الشرعية بعد ذلك وفي المراحل المتقدمة من التعليم يتعلم الفقه المقارن بأن يذكر كل قول بدليله سواء من القرآن أو من السنة أو الإجماع مع التنبيه على الطالب بأن مرحلة التقليد المذهبي قد انتهت وإن فعل ذلك فهو التعصب الممقوت الذي أودى بأمة الإسلام إلى هذا الوادي السحيق من الخلافات الفرعية التي يجب أن يسعنا الخلاف فيها كما وسع من قبلنا ولعل أساسيات التعليم الأزهري من جهة التمذهب هي السبب الرئيسي في هذا الأمر وهو التعصب المذهبي وما المانع في أن يكون هناك منهج للدراسة على منوال السلف الصالح وتكون المسائل الفقهية والعقدية بحسب الأدلة من الكتاب والسنة وتستبعد الآراء البعيدة عن الصواب فيتربى جيل يقل فيه الخلاف والتعصب لمذهب معين وتكون الفتوى من أهل الاختصاص بعيدا عن التشعب في الآراء ويتخلص الناس من هذا النزاع الذي يدب في الأمة يوما بعد يوم

ولذلك كان التعصب المذهبي من الأمور التي فرقت الأمة تفرقا لا يليق بأمة الإسلام

4- التفرق إلى أحزاب وشيع

وقد قال الله عز وجل " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا "

ولفهم معنى التفرق لابد وأن نرجع إلى أصل الإسلام فإن النبي ق لما حدثت المشادة بين رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار فإن النبي ق سمى ذلك العمل بدعوى الجاهلية مع أن اللفظين قد وردا في القرآن الكريم ومع ذلك نهاهم النبي ق عن الانتساب إلى هذين الاسمين فما بالك بمن ينتسب إلى أسماء مخترعة لم تكن موجودة في عهد النبي ق ولا الصحابة مع أن الله تعالى قال " مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ "

فالله سمانا مسلمين فيأتي واحد من الناس ويريد أن يميز نفسه عن بقية الناس باسم معين فهذا لا يحق شرعا بل من فعل ذلك يكون قد فرق المسلمين لأن الأصل أن المسلمين كلهم أمة واحدة فمن ابتدع اسما وميز نفسه عن الأمة الواحدة فقد فرق المسلمين لأنهم في الأصل أمة واحدة فكل المسميات التي لم ترد في الشرع فهي مسميات باطلة لا يصح لمسلم أن يندمج تحتها هذا بعيدا عن الإمارة والبيعة بغير حق أي البيعة الباطلة ومنهج وفكر وأمور لا حصر لها وكل هذا باسم الدين والله تعالى يقول " إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ " [الأنعام 159]

وقال الله عز وجل " مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ "

فهلا من معتبر يعتبر بهذه الآيات ولا يقولن قائل هذه الآيات جاءت في حق أهل الكتاب أو غيرهم إنما العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالذم لأهل الكتاب ومن يفعل فعلهم ولقد قال الله عز وجل " وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ "

وقال سبحانه " وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ " [آل عمران]

وقال الله عز وجل " وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ " [الأنعام 153]

ولا يحق لأي حزب أو جماعة أن يقول نحن جماعة المسلمين لأنه هو الذي خرج عن الجماعة وفرقهم وليس أدل على ذلك من حديث حذيفة فإن لم يكن لهم أمير ولا جماعة الذي عند البخاري برقم [3338] من حديث حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ قُلْتُ وَمَا دَخَنُهُ قَالَ قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا فَقَالَ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا .

وهذا موضع الشاهد من الحديث : قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ قَالَ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ *

وهناك كتاب نافع في هذه المسألة فليراجع وهو كتاب حكم الانتماء إلى الجماعات الإسلامية لمؤلفه بكر بن عبد الله أبو زيد

وقضية الجماعات والتيارات الإسلامية والأحزاب قضية كبيرة تحتاج إلى فهم ووعي وكلها تضرب على وتر الخلافة الإسلامية ولفهمها نقول

إن التيارات الإسلامية الموجودة على الساحة الآن والجماعات الإسلامية تظن أن عندها من السياسة ومن الحنكة ومن التجارب ما تستطيع به أن تعيد الخلافة وتقوم بواجباتها وتعيد للمسلمين مجدهم

ولكن واقع المسلمين يزداد سوءا وحالهم يزداد تأخرا وابتعادا عن المنهج وهذه الجماعات لا نقول حكمنا عليها بالفشل لأننا أعطيناها فترة من الزمن كافية لنجرب منهجها ولكن القضية ليست قضية وقت لأنه ليس بمعيار للنجاح أو الفشل وإنما المعيار هو المنهج الذي يحقق مراد الله في الأرض فليست القضية بأن نأتي بشخص ونسميه أمير المؤمنين ونغير شكل الدولة من المملكة إلى الجمهورية فقط ليس هذا هو تحقيق مراد الله في الأرض ولا تحقيق شرعه إذن ليس الفشل أن هؤلاء لم يستطيعوا أن يقيموا لهم دولة وهؤلاء أقاموا لهم دولة فلو نظرت إلى الوصول إلى الحكم لوجدت أن الإخوان أقاموا لهم دولة في السودان فهل انصلح الحال وأصبحت دولة إسلامية بعد أن كانت غير إسلامية وفي مصر وصل الإخوان إلى الحكم ومعهم تيارات إسلامية أخرى ولكن ازداد الأمر سوءا عما كان عليه قبل ذلك وخرجت الشيوعية من أفغانستان وانتهت الملكية وجاء الأمراء والخلفاء وكلهم ينادي بالجهاد وكلهم أحزاب إسلامية فهل تحقق المطلوب الجواب لا.

<u>والسؤال لماذا ؟</u>

لأنهم لم يحققوا مراد الله في الأرض ومثلهم في إيران فكانت الثورة الإسلامية التي هلل لها الجميع ....من الأحزاب والجماعات ومع ذلك ازداد الأمر سوءا

إذن الحكم يكون على المناهج بالفساد لا لأننا أتحنا لهم خمسين عاما أو مائة عام ولكن قد يستمر الصالح في دعوته إلى الله عز وجل عمرا طويلا ولا يصل إلى الحكم ومع ذلك يكون قد حقق مراد

إذن الواجب علينا أن نحرر أصل القضية ونعرف ما هو المنهج السليم الذي يوصلنا إلى تحقيق مراد والجواب الوسيلة –الله في الأرض ونعرف ما هي الغاية التي من أجلها نقوم بالدعوة إلى الله عز وجل الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة حيث أراد الله وتكون الغاية رضا الله عز وجل ولو لم تتحقق نتيجة في حياة الداعية إلا أنه طبق الشرع على نفسه وعلى من تحت يديه ودعا الناس فإن استجابوا فلهم وإن لم يستجيبوا فعليهم قال الله تعالى " مَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا " ويكون قد قام بما عليه من الواجب ولابد وأن نسأل أنفسنا سؤالا .

لماذا يريد الناس دولة ؟

ولماذا جعجعة الإعلام الإسلامي بكلمات الحكم ، الخلافة ، الدولة ، وتطبيق الشريعة ، لماذا يريدون هذا ولماذا نريد تطبيق الشريعة في الأرض لابد وأن نسأل أنفسنا هذا السؤال وبالإجابة السليمة نعرف كم في الدنيا من أخطاء ولا دخل للدولة فيها ولا لحاكم ولا لغيره وإنما هي من أنفسنا ونحن نرى أن تطبيق الشريعة ليس فقط أن نقيم دولة ونعلن الجهاد هذه كلها وسائل وإنما نريد تطبيق الشريعة لتحقيق رضا الله في الأرض.

إذن يسعى المسلمون للصلاة ليرضى عنهم ربهم ويصومون ليرضى عنهم ربهم ويحجون ليرضى عنهم ربهم بل ويموتون جهادا ليرضى عنهم ربهم ويسعون لتطبيق الشريعة ليرضى عنهم ربهم ولا أظن في المسلمين أو في الجماعات من يخالف هذا الجواب

إذن حركتنا سواء كانت صغيرة أم كبيرة فإننا نتحرك لتحقيق مراد الله في الأرض ولن يرضى عنا ربنا إلا إذا حققنا مراده فلو صلى رجل ولكن ليس على هدي النبي ق فهل حقق رغبة الله في الأرض الجواب لا ولو صام رجل ولكن ليس على هدي النبي ق فهل حقق مراد الله في الأرض الجواب لا فلو أقام رجل ليلة الجمعة كان آثما أو صام يوم الجمعة منفردا دون سبب كان آثما أو صام دهره كله كان آثما لأنه مبتعد عن سنة النبي ق المقتدى به والمهتدى به.

إذن العمل لابد وأن يتوفر فيه النية الخالصة ويكون العمل نفسه مشروعا بأمر من الله أو على لسان نبيه ق إذن نعمله ولا حرج فأمامنا قضية النفر الثلاثة الذين سألوا عن عبادة النبي ق وكأنهم تقالوها فأرادوا أن يبالغوا في العبادة بعض الشيء فما قبل منهم النبي ق ذلك ولكنه ذم فعلهم رغم أنهم يجتهدون في العبادة ومع ذلك قال ق ((مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)) فإنهم أناس ما دعوا إلى معصية ولا إلى فاحشة ولكن كان الدافع لهم حب الخير وحب الله تعالى ولكنهم أخطأوا الطريق فرغب عنهم النبي ق وعنفهم فلو جاء رجل الآن وقال نحن نريد أن نطبق الشريعة الآن مثلا على مذهب الإمام أبي حنيفة كاملا أو على مذهب الشافعي كاملا فماذا يكون الجواب

هل يكون هذا قد حقق مراد الله في الأرض ؟

الجواب لا

لماذا ؟

لأنه سيرد أحاديث النبي ق التي تخالف المذهب وأيضا لو استصدر رجل قوانين ولكنها على غير السنة كأن يتبنى المنهج الصوفي أو الشيعي أو الأشعري أو منهج الخوارج وكل له طابع خاص به فماذا يكون الحال هل نكون قد حققنا الخلافة وأقمنا دولة الإسلام الجواب لا لكن هل هذا شرع الله عز وجل الجواب لا إذن الجماعات الإسلامية والتيارات الإسلامية والحركات الإسلامية التي طرحت مناهج للوصول إلى الحكم لم تطرح هذه المناهج كما طرحها أصحاب النبي ق وأقاموا بها دولة الإسلام وبعدها شاهدنا هذا الضياع الذي فيه العالم الإسلامي نتيجة التصورات البشرية على غير المنهج الرباني إذن القضية الأولى لابد من معرفة الأصل ثم تبنى عليه الفروع وأصل القضية أننا يجب أن نسعى إلى تطبيق شرع الله عز وجل ليس لأننا نفرح بقطع يد السارق أو بجلد شارب الخمر ولكن نسعى إليها بالطرق الشرعية ببناء الأصل الذي تطبق عليه الشريعة فيرضى بحكم الله عز وجل ويكون عارفا به مسلما أمره لله لأنه تعلم ذلك عن طريق الدعوة الحقه وبهذا نكون قد حققنا مراد الله في الأرض فيرضى الله تعالى عنا فمع ذلك نجد أن الساحة تعج بثلاثة أطراف

1- شباب عندهم عاطفة جياشة اندفعوا فوجدوا فسادا منتشرا كبيرا في مجتمعاتهم أيا كانت البيئة ووجدوا خطباء ودعاة يؤججون لهم العاطفة ولا يرشدونها فاندفعوا مع أنهم أصحاب نيات طيبة فجاء هذا البركان والاندفاع فيه كل هذا العنف الذي نشاهده فتارة يسميه البعض بالإرهاب وتارة يسميه البعض بالأصولية ليضيعوا المعاني الإسلامية ولكن هذا هو بدايات الخلط بين المعاني الرديئة والمعاني السامية وكما قال بعض أهل العلم ((العاطفة إن لم ترشد بالعلم تصبح عاصفة)) ولسنا نقر بتعميم الأحكام كما يفعل كثير من الناس ولكن وجب التمييز ليعرف الخبيث من الطيب.

2- قطاع ضخم من الناس لا ترى فيهم سمات الإسلام والمسلمين بل تجد سماتهم كسمات غير المسلمين ولا أقصد بذلك تكفير المجتمعات ولكن هذا واقع لابد من علاجه والمجرم الأول في ذلك كله ليس اليهود ولا الشيوعية ولا العلمانية ولا غير ذلك ولكن المجرم الأول في تصوري هو هذه الفئة التي تساهلت في الفتيا مع الناس فأصبحوا يمدحون لهم البدعة وينفرون الناس من السنة ويتساهلون في أمور الحرام والحلال بحجة أن الزمن تغير والناس والواقع وأشياء كثيرة من هذا القبيل ولذلك أمثله كالذي يفتي الناس بأن التليفزيون فيه خير وشر خذ منه ما تريد واترك ما لا تريد وصوروا لهم الجلسات الأسرية التي فيها اختلاط الرجال بالنساء بأن هذه تقاليد حسنة لا شيء فيها والدار أمان ولا مانع أن تأتي بالمجلات إلى بيتك بدلا من أن يأتي بها ولدك من عند الجيران ولا مانع من الاختلاط ما دمت تأمن على نفسك الفتنة وكأننا أفضل من صحابة رسول الله ق وأطهر قلوبا منهم وأصدق في النيات وقالوا لا مانع من السينما والفن فإن فيها خيرا ولا مانع من سماع الأغاني للترويح عن النفس فجعلوا السم في العسل كما يقال ويزينوه للناس على أنه الحق المبرء من كل شبهة وعيب وهذه الفئة هي التي تستحق الوقفة القوية لأنهم هم الذين يزينون الباطل للناس على أنه حق كمثل تزيين الشيطان للإنسان

3- دعاة ومشايخ وخطباء ووعاظ يتلونون على حسب الحاجة وعلى حسب الظروف وهؤلاء خطرهم عظيم لأنهم يبثون في شباب الأمة الضياع والحيرة لعدم وجود ثوابت وضوابط يرجع إليها الشباب فكانوا قدوة سيئة أدت إلى الانحراف الخلقي والمنهجي والبحث عن طريق آخر يشبعون فيه عاطفتهم ورغباتهم بأي وسيلة ولا تدري ما العاقبة ولا حول ولا قوة إلا بالله فنحن نعيش الآن بين طرفين.

ميوعة في الأخلاق والسلوك والعبادات وقد تكون العقيدة سليمة

وعلاج هؤلاء

1-التشمير في الدعوة

2- الرد على هؤلاء الذين تساهلوا في الفتيا وبقوة والأخذ على أيديهم لأنهم تسببوا في ضياع معالم الدين عند المسلمين فكان ضياع الأمة ولا يتأتى ذلك إلا بطريق أهل السنة والجماعة أي باتباع المنهج السليم وتقديمه للناس والسعي في تقديم هذا الخير وإني أؤكد أن الناس يتهافتون على الخير لو وجدوه دون أن يصيبه هذا الدخن الذي فيه ولكن المنفرين عن المنهج الحق كثيرون فنعوذ بالله من الضلال

وأقول أيضا إن منهج أهل السنة والسلف كمنهج أصحاب محمد ق يحُارب وبقوة وشراسة وأول المحاربين له هم الإسلاميون أنفسهم وذلك لأن الشباب لوتركواعلى فطرتهم السليمة التي فطر الله الناس عليها لكانوا سلفيين بطبعهم ولا أقصد بذلك جماعة ولا غيرهم ولكن أقصد المنهج السلفي ولكن لما وجدوا أصحاب الفكر والنظريات جمعوا الناس على منهج وضع مبادءه مشايخ أو أفراد أو أمراء أو غيرهم فكان لزاما أن يكون هذا التفرق الذي نراه في الأمة الآن التي أصبحت أحزابا وشيعا كل حزب بما لديهم فرحون والكل يقول نحن الجماعة الإسلامية الشرعية التي لا يحق مخالفتها وأنها صاحبة المنهج الحق ومما زاد الأمر سوءً أن هؤلاء الذين اتخذوا منهج الخوارج في الدعوة ونسبوا أنفسهم إلى السلف وتكلموا باسم السلف والمنهج السلفي زورا وبهتانا كان لهم نصيب أيضا من التشويش ومثلهم في النصيب هؤلاء الذين اتبعوا المنهج الإرجائي الذي ضيع سمات الإسلام عند المسلمين

خلاصة الأمر أن الأمة تسير في واديين سحيقين خطرين يهلكانها :

1 – الوادي الأول وادي التطرف

2 – والوادي الثاني وادي الميوعة والشهوات

وعلاج ذلك أن نجد في الأمة علماء عاملين يعلمون الناس أمر دينهم دون أن ينتظروا من وراء ذلك جزاء ولا شكورا من الناس ولا يؤثر على علمهم أي مؤثر ودعاة يخلصون الدعوة لهذا الشباب المخلص وقد قدمنا في البداية أن الأمة لن تحيا إلا إذا استجابت لله وللرسول لما يحييها ولن يكون ذلك إلا بمنهج السلف الصالح ولا نتبع إلا محمدا ق وذلك كما ورد في الحديث الذي رواه ابن ماجة من رواية عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ يَقُولُ وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ق مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا قَالَ قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ] [ابن ماجة 43]

وإن نهج السلف الصالح كان يحذر من كل صغيرة وكبيرة وليس أدل على ذلك من هذه الحادثة التي بدأ أصحابها بشيء يظن الناس أنه صغير مع أنه بدعة في الدين فاستفحل أمر البدعة حتى خرج منها الخوارج وهم الذين تنطعوا وغالوا وتعمقوا وكان ذلك في عهد صحابة النبي ق وكانت بدعتهم أنهم اجتمعوا على التسبيح والتهليل والتكبير الذي هو من أفضل الأعمال وأجل العبادة لكن لما لم يكن على عهد رسول الله ق ولم يتعبد به أحد من الصحابة على هذا الوجه الذي فعلوه أنكر عليهم ذلك أفاضل الصحابة رضي الله عنهم كعبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري وذكر ذلك أهل الحديث كما روى الدارمي قال

أَخْبَرَنَا الْحَكَمُ بْنُ الْمُبَارَكِ أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى

الْأَشْعَرِيُّ فَقَالَ أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ قُلْنَا لَا فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا خَيْرًا قَالَ فَمَا هُوَ فَقَالَ إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ قَالَ رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصًى فَيَقُولُ كَبِّرُوا مِائَةً فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً فَيَقُولُ هَلِّلُوا مِائَةً فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً وَيَقُولُ سَبِّحُوا مِائَةً فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً قَالَ فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ قَالَ مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ وَانْتِظَارَ أَمْرِكَ قَالَ أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ قَالُوا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ قَالَ فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ق مُتَوَافِرُونَ وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ قَالُوا وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ قَالَ وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ق حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ وَايْمُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ * [الدارمي 206]

وقال حُذَيْفَةَ " يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا " [رواه البخاري]

وقد ذكرت لك الكلام السابق من أجل أن أدلل لك على أن أهل البدع والأهواء والضلال تكون بدايتهم صغيرة وتفكير فردي ثم ينتشر ويصبح أمرا جماعيا فهؤلاء اجتمعوا للتسبيح والتهليل والتكبير ثم كانت النهاية أن أصبحوا ضمن الخوارج الذين كفروا الناس وكانت مساوئهم على الدين وأخطارهم كبيرة جدا وكل بدعة تنتهي بأصحابها إلى طريق الضلال ففكرة الجماعات بدعة وفكرة التمذهب والتعصب للمذهب بدعة وفكرة تقسيم الدين إلى لباب وقشور بدعة وفكرة التكفير بدعة والإرجاء بدعة وكل هذه من الأمور التي ابتدعت بعد عهد رسول الله ق فإياك أخي المسلم أن يتطاول بك

الزمان فتجد من البدع والمنكرات المحدثة في الدين التي أحدثها من أحدثها ولم تنكر حتى فشت في الناس فأصبح المنكر معروفا والمعروف منكرا والسنة بدعة والبدعة سنة والإسلام دين عنف والنصرانية دين السماحة وعلماء الإسلام أصحاب بطون وطعام وشراب وشهوات وعلماء الدنيا أصحاب جهاد وفكر وعلم وأصحاب الأخلاق المحمدية متخلفون وأصحاب الأخلاق الغربية والعجمية متحضرون فالله الله على كل هؤلاء وإن الله لقوي عزيز فانتبه

وإياك والغلو في الدين أو التفريط والاستهانة بأي أمر يخص الدين فما وصل حال الأمة إلى ما هي عليه إلا بوجود طرفي النقيض المغالي ثبط الناس ويأسهم عن فعل الخير ويأسهم من رحمة عز وجل

والجافي المفرط أوهمهم إن الدين مجرد كلمة فوقع الناس بين فكي كماشة ولكن أهل السنة هم الأمة الوسط التي لا تفرط ولا تغالي ولكن يسيرون خطوة خطوة وراء كتاب ربهم وسنة نبيهم ق فاحرص على أن تكون منهم .

[وأهل السنة هم أعلم الناس بالحق وأرأف الناس بالخلق]

5- ضبط كل شيء في الحياة بميزان الشرع دون التعديل على أمر الله عز وجل

وهذا يتطلب منا أن نفهم كلام سلفنا الصالح فهما صحيحا وأن لا نجعل السبيل إلى الوصول إلى ما نريد أن نجعل للدين قشورا ولبابا فهذه بدعة خبيثة لا يحق للمسلم الحق أن يكون له نصيب منها بأي حال وذلك لأن الدين جسم لو حدث فيه أي خلل أثر ذلك على الباقي وكل بقدره ونمثل لذلك مع الفارق في التشبيه والتمثيل ولله المثل الأعلى ولكنه مثال يقرب المقصود وهاك المثال فلو أنك أتيت بثمرة ووجدت في قشرتها فتحة إلى الداخل تعلم بذلك أن اللباب قد أصيب وذلك من خلال القشرة إذن القشرة الخارجية هي التي تحمي اللباب ومن خلالها تعرف ما بالداخل فتقسيم الدين إلى قشور ولباب من الأفكار التي ضيعت الدين وخاصة عند كثير من الجماعات وكثير من المتمذهبة المتعصبين ودائما صاحب الهوى الذي لا يضبط الحياة بميزان الشرع يحاول أن يتلمس الرخصة عند كل صاحب مذهب أو كل عالم أو كل مفتي فيجمع الرخص ليعمل بها ويجعل منها دينا قيما يدعو إليه ويوالي ويعادي من أجله فهذا هو الضلال بعينه .

ومن هذا المنطلق جاءت جماعات نشروا فكرة التكفير بين الشباب وذلك بسبب عدم فهم كلام السلف في هذه المسائل أو اتباع الهوى في تطبيق النصوص ولذلك فإن أهل السنة يختلفون عن غيرهم من أهل البدع فلقد وصف أهل السنة بأنهم أهل الإنصاف وأهل البدع وصفوا بأنهم أصحاب الهوى والفارق بين أهل السنة وأهل البدع أن أهل البدع يعتقدون معتقدا معينا أولا ثم يحاولون تطويع الأدلة لما يعتقدونه فيكون ما يعتقدونه هو الأساس والأدلة تبعا لما يعتقدون أما أهل السنة فإنهم يعتقدون ما يقتضيه الدليل من الكتاب والسنة ويتجردون للحق تماما فلذلك تجدهم يتفقون في مسائل الاعتقاد نتيجة تجردهم للحق فهم قد اتفقوا في الأصل وهو من أين يأخذون دينهم أمن عقولهم أم من كتاب ربهم وسنة نبيهم .

وفارق كبير كالفارق بين السماء والأرض أن تدلل على معتقدك وبين أن تعتقد بالدليل ولذلك قال بعض أهل العلم هذه العبارة الجميلة [استدل ثم اعتقد ولا تعتقد ثم تستدل فتضل] ولذلك يوصفون بأنهم أصحاب الحديث وذلك لأنهم لا يعتقدون إلا ما تقتضيه الأدلة بالآية والحديث فعلى المؤمن أن يكون متجردا للحق وأن يأخذ الحق من منابعه الصافية وهي كتب السنة الصحيحة وأمامك مثل لذلك وهو الإمام البخاري رحمه الله فإنه لم يكن يعتمد على مذهب معين ولكنه تجرد فكان مع الدليل حيث كان ولذلك جاء مصنفه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى باتفاق أهل العلم المعتد بهم .

فأصحاب الحديث لا متبوع لهم إلا محمد ق ولذلك جاء الوصف الذي ينطبق عليهم في كتاب الله تعالى " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا "

يعني أمة عدلا ومن اتبع الحديث فقد عدل لأنه اتبع طريق رسول الله ق وعقيدة أهل السنة ليست عقيدة تعصب ولا عقيدة تميل إلى جهة أو فئة معينة ولكن إمامهم الكتاب والسنة بفهم أصحاب النبي ق فلسنا حلقة ملقاة في فلاة ولكن نحن تابعون لسلسلة متواصلة متكاملة كما قال النبي ق في الحديث الذي رواه البخاري بسنده برقم [6905] من حديث الْمُغِيرَةِ ابْنِ شُعْبَةَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ق يَقُولُ لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ *))

ولا بد لكل إنسان يتكلم في أمر الدين أن يكون له سلفا من صحابة النبي ق ولا نكون مقلدين تقليدا أعمى وفارق كبير بين التقليد والاتباع فالاتباع يكون بالدليل والتقليد يكون بغير دليل والذي يأخذ كلام العالم بدليله ليس مقلدا وإن أكثر الأفكار المنحرفة جاءت من قبل الجدل ولذلك قال النبي ق ((مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلا أُوتُوا الجَدَلَ)) ولذلك من تجرد للحق وأخذ العلم من منابعه الصافية دون النظر إلى الأشخاص فإنه يصل إلى الحق بإذن الله

أما الارتباط بفكر الأشخاص :

فإنه ليس وراءه إلا الضلال والإضلال وارتباطك بأهل العلم ليس ارتباطا بأشخاصهم ولكنه ارتباط بما عندهم من علم بالدليل الشرعي ولذلك نجد أن مسائل الخلاف زادت وانتشرت وخاض فيها العالم

والمتعالم والطالب الذي لم يطلب العلم وأصبح الأمر هرجا مرجا حتى إن بعض الدعاة هداهم الله يثيرون الشباب الذين حولهم بالكلام في مثل هذه القضايا الكبيرة دون تريث وتعقل والمقصود أن الساحة الآن تعج بأفكار كثيرة لا طائل من ورائها إلا الفتنة والفرقة ولكن دين الله تعالى ليس ملكا لأحد كما قال الله تعالى لنبيه ق لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ وقال وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وقال فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ومن هذه القضايا الكبيرة قضية التكفير فهي ظاهرة باءت على أمة الإسلام بوباء كبير مستفحل والسبب في ذلك إنما هو الجهل الشديد الذي حاق بالأمة من جانب والفساد الكبير الذي تشهده بلاد الإسلام من جانب آخر فكلا السببين معا جعلا الساحة تعج بهذه الخلافات فهي ظاهرة يجب أن تفهم بقواعدها التي فهمها السلف بها وكل من جاء فيها بقول لابد وأن يكون له فيها سلف من الصحابة والتابعين حتى تتميز الأقوال ويعرف الحق من الباطل.

وبادئ ذي بدء لابد وأن نذكر ثلاثة نصوص يُفهم على أساسها الأمر.

النص الأول قول الله تعالى وَمَن لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُون الثاني هو قول النبي ق في الحديث الذي رواه البخاري فقال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ زُبَيْدٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنِ الْمُرْجِئَةِ فَقَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُاللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ق قَالَ سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ

النص الثالث : الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ق قَالَ لَيُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ *

وتفهم النصوص الثلاثة مجتمعه مع الأدلة الأخرى من الكتاب والسنة نصل إلى القول الحق

فالآية تقول " وَمَن لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ " والقرآن نزل بلسان عربي مبين وليس أحد منا يفهم لغة العرب أكثر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فهم أفهم الناس للغتهم وقد تلقوا الوحي من فم النبي ق ولذلك نسأل عن قوله [ومن لم]

ماذا تعني ؟ وهل خصصت هذه العبارة أحدا بعينه ؟

أم أنها تعني الصفة أي كل من كانت هذه صفته فالآية عامة لا تخص أحدا بعينه وينطوي تحتها كل مسلم قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وليس هذا خاصا بحاكم أكبر ولا أصغر بل الكل سواء والتفاوت يكون في المسئولية والذنب ولكن الكل في نهاية الأمر ينطوي تحت حكم هذه الآية فكل راع مسئول عن رعيته الحاكم للناس والإمام في المسجد والرجل في بيته والمدير في عمله والمدرس في فصله وكل إنسان في عمله يصدق عليه القول إذا لم يحكم بما أنزل الله ولكن نستطيع أن نفهم الآية من خلال تفسير الصحابة لها فالكفر ينقسم إلى كفر أكبر مخرج من ملة الإسلام وكفر أصغر لا يخرج من ملة الإسلام ولكن صاحبه على خطر عظيم والأول مرتبط بالاعتقاد وبعض الأفعال الصريحة التي تدل على الاعتقاد والثاني مرتبط بمخالفة الفعل للاعتقاد لأنهما لو توافقا لكان ذلك كفرا أكبر ولذلك لو نظرنا إلى كلام النبي ق ((سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)) وقوله ق عن النساء في الحديث الذي رواه البخاري في كتاب الإيمان من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ق أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ قِيلَ أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ *

فهذا ظاهر في أن الفسوق والكفر في الحديث ينطبق على الفعل وحده دون أن يخرج من الملة لأن الإيمان أصل وشعب والكفر أصل وشعب وأعلى شعب الإيمان لا إله إلا الله لا يكفر صاحبها صراحا إلا إذا أتى بمناقض لها من الشرك الأكبر الذي ليس فيه تأويل ولا خلاف بين أهل العلم من أهل السنة فيه فيكون ناقضها شرك مجمع عليه أنه شرك فعندئذ تكون الكلمة التي قالها لم تنفعه بشيء عند الله ولا عند الناس ثم تأتي بعد ذلك شعب الإيمان الأخرى ففاعلها يزداد إيمانه وتاركها ينقص إيمانه ويظل من جملة المسلمين مهما كانت الشعبة التي تركها إلا الصلاة فإن لها موضع آخر وتفصيل آخر يأتي قريبا إن شاء الله وإذا فهمنا هذا أيضا فلننظر إلى النص الثالث ((لَيُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ)) من هذا نفهم أن نقض عروة الحكم بما أنزل الله ليس نهاية الإسلام وإنما هي أول عروة

تنقض ولو كان بنقضها يكفر الإنسان ويخرج من الملة لما كان لبقية الحديث معنى وإنما العبارة التي بعدها تبين أن الصلاة هي آخر عروة من عرى الإسلام وبتركها ينتقض الإسلام مع مراعاة الخلاف فيها بين أهل السنة وليس معنى هذا أن الحاكم بغير ما أنزل الله مسموح له أن يغير ويبدل ويحكم بما يشاء ولكن هو في الوعيد الذي توعده الله لكل من لم يحكم بما أنزل الله مع عدم خصوص الآية بالحاكم الأكبر وحده ولكن كما قدمنا الآية عامة في كل إنسان شهد الشهادتين وحكم بغير ما أنزل الله ولذلك تحتاج المسألة إلى فهم جيد حتى لا نتخبط في الظلمات وأن نقدر الأمور قدرها لأن دين الإسلام لا يحب الإفراط ولا التفريط والعجيب أن نجد كثيرا من الشباب يتكلم في هذه القضية ويعتبرها رأس ماله الذي لا يملك غيره دون أن يطلب العلم من مسلكه الصحيح وأخطر شيء أن يسمع الإنسان ويردد سواء كان يسمع من أهل علم متخصصين أو من غيرهم دون أن يتعامل هو بنفسه مع كتب السنة فكتب السنة فيها الحق الذي لو اطلع عليه الإنسان لاستطاع أن يزن الأمور.

والداعية الحق هو الذي يعلم تلاميذه أنه وسيلة للإرشاد والأصل هو الكتاب ويجعل ارتباط التلاميذ أو طلبه العلم بالكتاب أكثر من ارتباطهم به هو ويبين لهم أنه في يوم من الأيام سيرحل ولكن الحق سيبقى موجودا كما كان موجودا قبل أن يولد.

والحق أن مسألة التكفير علاجها سهل ويسير وهو أن يكون الدعاة حريصين على التعليم دون أن ينتظروا النتائج والشباب متحمس وتدفعه عاطفة هذه العاطفة لابد وأن ترشد فإن لم تجد من يرشدها بحرص وإتقان فستندفع العاطفة بصاحبها إلى الضلال.

6- الأخذ على يد كل مخالف بالحجة والدليل والبرهان أيا كان شخصه

وهذه هي النقطة التي فيها ظهور محبة الله ومحبة رسوله ق وحب نصرة الحق الذي جاء من عند الله عز وجل ولذلك فإن النبي ق علمنا في الحديث الذي رواه الترمذي من حديث أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ق إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا وَقَعَ فِيهِمْ النَّقْصُ كَانَ الرَّجُلُ فِيهِمْ يَرَى أَخَاهُ عَلَى الذَّنْبِ فَيَنْهَاهُ عَنْهُ فَإِذَا كَانَ الْغَدُ لَمْ يَمْنَعْهُ مَا رَأَى مِنْهُ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَخَلِيطَهُ فَضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ وَنَزَلَ فِيهِمْ الْقُرْآنُ فَقَالَ (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ (وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) قَالَ وَكَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ق مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ لَا حَتَّى تَأْخُذُوا عَلَى يَدِ الظَّالِمِ فَتَأْطُرُوهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا [رواه الترمذي]

والشاهد من الحديث قوله ق (حَتَّى تَأْخُذُوا عَلَى يَدِ الظَّالِمِ فَتَأْطُرُوهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا)

هذا يبين لنا أن الأخذ على يد الظالم وسيلة من وسائل الشرع لحفظ كيان الدين من المنحرفين فكريا أو الذين اختلطت عليهم الأمور أو المتعالمين وإن تركها العلماء المخلصون فإنهم ينالهم شيء من البلاء الذي يصيب غيرهم من الناس لقوله أو ليوشكن أن يعمكم الله بعقاب من عنده ولقد كان سلفنا الصالح يُقَوِّمُ بعضه بعضا ولا يستحي أحدهم أن يوجه النصيحة إلى غيره ولا يأبى المنتصح أن يقبل النصيحة دون كبر وتعال وذلك لقول النبي ق في الحديث الذي رواه مسلم من حديث تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ق قَالَ الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ.

فأهل السنة هم الذين يحرصون على أن لا يكونوا سبب فتنة وأن يقتلعوا الفتن من جذورها حريصون على جمع كلمة المسلمين تحت راية التوحيد الخالية من أي مسميات أو جزئيات ودون التنازل عن أدنى أدنى شيء من أمور الدين باطنا أو ظاهرا لأنهم أعرف الناس بالحق وأحرص الناس على عدم

الفتنة وأنصح الناس للأمة وأرفق الناس بالجاهل وأحرص الناس على تعليم الناس فلذلك كان الواجب علينا أن نكون حريصين على توقير علماء السنة واحترامهم ومن عجيب أن ترى أن الفتنة تخرج من على منابر يعرف الناس أنها منابر السنة ومن أناس يعرف الناس أنهم من أهل السنة والأمر ليس كذلك فيالها من أعاجيب اختلطت فيها الأوراق وأصبح أهل السنة يرمون مرة بالإرجاء من فئة تبنت فكر الخوارج ويرمون بأنهم من الخوارج من فئة تبنت فكر الأرجاء وهكذا أهل السنة يرمون من كل الفئات فيا ويل من لا يعرف للعلماء قدرهم ويسبهم ويهينهم ويرميهم زورا وبهتانا وقد قال الله عز وجل في سورة الرعد " أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَد مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَال "

فلا يحزن علماء السنة لأن الله تعالى قال فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض فالله تعالى هو الذي جعل ما ينفع الناس يمكث ويبقى فلا يحزنك قولهم وليس عليكم من حسابهم من شيء إن هو إلا كبر ما هم ببالغيه والله تعالى ولي المتقين.

ودائما يعرف أهل البدع بوقوعهم في أهل الأثر فأهل الأثر والحديث واتباع ما دلت عليه الأدلة من القرآن والحديث الصحيح هم أفقه الناس بأمور الدين لأنهم يجمعون بين الدليل والفقه وعندما ينقلون كلاما مستدلين به فإنما يتبعون المنهج الصحيح في النقل فينسبون القول إلى قائله وينقلون كلامه بتمامه وكماله ولا يتخيرون من بين السطور ما يؤيد كلامهم أو مفهومهم أو معتقدهم ويتركون ما يخالف كلامهم أو مفهومهم أو معتقدهم وهذا الأمر يخفى على من لم يتعامل مع الكتاب فإنما هو يسمع ويردد وكأنه آلة تسجيل لا يفهم ما يقوله ولكن يردد ما سمعه وما قيل له ولذلك نجد أن الرسول ق يعلمنا كما في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ق يَقُولُ نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ.

والذي ينقل النصوص محرفة أو ناقصة أو يتخير منها ما يؤيد رأيه ويترك ما خالفه إنما هم أهل البدع والأهواء مهما تلبسوا بلباس السنة وانفعلوا واحمرت وجوههم وعلت أصواتهم فإن ذلك لا يدل على علمهم بأصول أهل السنة ولكن هذا هو الواقع المرير الذي نعيشه منذ سنوات تصدعت فيها الأفكار وانتشرت الفتن والشائعات وأصبح أهل العلم بالكتاب والسنة هم المخطئون وأهل البدع والأهواء هم المشهورون والمتميزون عند الناس وخاصة الشباب ولكن أهل العلم ثابتون لا تؤثر فيهم العواصف الهوجاء والتي لا أصل لها إلا الانفعال والحماسة الظاهرة دون أصول ثابتة وليس ذلك منا ببعيد فمن على منابر السنة نجد هذا الوصف الذي وصفته بل وأصبح الناس يعتقدون أن هذا هو منبع الدعوة إلى الله عز وجل ولكن يوما بعد يوم تنكشف الأوراق ويرى الشباب أنفسهم أمام مصيرين.

المصير الأول :

تكفير المجتمع والانعزال عنه بل والدعوة إلى العنف والتغيير بالقوة نتيجة أن الحماسة والعاطفة تحتاج إلى تفريغ فلا سبيل إلى تفريغها إلا في هذا السبيل.

المصير الثاني :

التحلل من كل ما كانوا تلبسوا به من الالتزام الظاهري وذلك نتيجة جهلهم وأنهم رأوا أنه لا فائدة من الإصلاح لكثرة ما يرون من المنكرات وأدوات اللهو التي أصبحت لا حصر لها ولا عدد فيرجعون إلى ما كانوا عليه أولا قبل أن يسمعوا الخطب الرنانة والانفعالات المصطنعة والعلم الزائف بل ربما يزداد تحللهم نتيجة أنهم يئسوا من فهم ما يجب أن يفهم ولعل ذلك هو السبب الرئيسي في هذه الأوضاع التي تعيشها أمة الإسلام نتيجة المفاهيم الخاطئة للدعاة والشباب معا.

الحرص على تصحيح المفاهيم الإسلامية :

وليكن طريق الإصلاح بتصحيح المفاهيم الخاطئة سواء عند الشباب الملتزم ظاهريا أو الشباب المتحلل وكلاهما يحتاج إلى تصحيح المفاهيم لأن كلا الفريقين يظن الإسلام على نقيض الآخر فالملتزم يظن أن المؤمن لا يخطئ ولا يعصى فإن رأى رجلا أو شابا على معصية من المعاصي رماه بكذا وكذا وكيل له بالمكيال الأوفى من الألفاظ التي يحفظها فهذا مفهومه خاطئ عن الدين وأصوله والآخر إذا رأى رجلا يتسوك دائما أو مقصرا لثيابه أو مطلقا للحيته أو محافظا على الصلاة في المسجد في كل وقت رماه بالتزمت والتطرف والتخلف لأنه قد انطمست عنده المفاهيم التي منها ما يلي

1- مفهوم الإيمان والإسلام

2- مفهوم الكفر

3- مفهوم النفاق

4- مفهوم شعب الإيمان وشعب الكفر

5- مفهوم الكبائر والصغائر من الذنوب

6- مفهوم دخول الجنة والنار

7- مفهوم السمع والطاعة

8- مفهوم الأمراء والعلماء

9- مفهوم النصر والتمكين

10- مفهوم الجهاد في سبيل الله

11- مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

12- مفهوم الطاغوت

13- مفهوم الكفر بالطاغوت

14- مفهوم الحكم بغير ما أنزل الله

فهذه المفاهيم يجب أن تصحح للشباب لكي يعرف أصول دينه الصحيح وأن الإسلام هو دين العدل ودين العلم ودين التعبد الصحيح لله رب العالمين وهذه المفاهيم إن لم تصحح عند الشباب فستكون النتيجة التخبط في الظلمات والاتهامات والفتن وما إلى ذلك مما نعرفه جميعا .

1 – مفهوم الإيمان والإسلام

اعلم أن الإيمان والإسلام مصطلحان لكل منهما مسمى إذا اجتمعا ويدخل الإسلام في معنى الإيمان إذا اقترفا والإسلام والإيمان يجتمع فيهما الدين كله وقد كثر كلام الناس في حقيقة الإيمان والإسلام ولم يكن الجدل في هذه الأمور في عهد النبي ق ولا أبي بكر ولا عمر ولكن لما كثرت الفتن وتناحرت الفرق في عهد عثمان رضي الله عنه بدأت تظهر هذه الخلافات في المسميات فظهرت الخوارج ولهم رأي في مسمى الإيمان وظهرت المرجئة ولهم رأي في مسمى الإيمان وظهرت الجهمية ولهم رأي في مسمى الإيمان وظهرت المعتزلة هذا إلى جانب فرق أخرى ولكن أهل السنة كانوا أعدل هذه الطوائف في مسمى الإيمان والإسلام فنجد أن الله تعالى يقول إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ فكلمة الإسلام هنا تعني الدين كله سواء ما كان في القلب وما كان منه ظاهرا على الجوارح وقال تعالى " وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ "

فكلمة الإسلام هنا يدخل فيها معنى الدين كله ولكن إذا اجتمعت الكلمتان في جملة واحدة أو آية واحدة فلكل منهما معنى وذلك لقول الله عز وجل " قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا "

ففي هذه الآية نجد أن الله عز وجل نفي عنهم الإيمان ولكنه أثبت لهم الإسلام فدل هذا على أن الإسلام غير الإيمان فالإسلام في هذه الآية هو الإسلام الظاهر ونفي عنهم الإيمان وهو ما يتعلق بالقلب الذي لا يطلع عليه إلا الله سبحانه وتعالى ولذلك قال وَلَمَا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ فدل ذلك أيضا على أن الإيمان علاقته بالقلب ولا يكون ذلك إلا بما في بقية الآية وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ونجد أن النبي ق يقول كما في صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ق إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ *

فها هو الرسول ق يذكر القلوب والأعمال وأيضا في حديث أبي هريرة الذي عند البخاري ومسلم وحديث عمر الذي انفرد به مسلم وكلا الحديثين فيه أن جبريل أتى النبي ق على صورة أعرابي وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان فدل هذا على أن كلا منهم له حد وحديث ابن عمر عن النبي ق الذي رواه البخاري فقال : حَدَّثَنَا عُبَيْدُاللَّهِ بْنُ مُوسَى قَالَ أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ق بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ *

فدل هذا على أن الإسلام هنا هو الأعمال الظاهرة على الجوارح وأيضا حديث النبي ق كما عند أحمد من حديث أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ق يَقُولُ الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ قَالَ ثُمَّ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَ ثُمَّ يَقُولُ التَّقْوَى هَاهُنَا التَّقْوَى هَاهُنَا *

وأيضا قول النبي ق في الحديث الذي رواه البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ق قَالَ الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ * فاشتملت كلمة الإيمان هنا على القلب وعمل الجوارح

فالإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا في المعنى أي كان لكل واحد منهما معنى وإذا افترقا اجتمعا أي كان الإيمان متضمنا معنى الإسلام والإسلام متضمنا معنى الإيمان وكان الخلاف بين هذه الفرق في حد الإيمان

فالمرجئة : جعلوا الإيمان هو التصديق الذي في القلب فقط دون ارتباطه بالأعمال ولذلك جعلوا إيمان أبي بكر وعمر كإيمان أي رجل من آحاد الأمة ولم يدخلوا العمل في مسمى الإيمان

والخوارج: جعلوا الإيمان كلا لا يتجزأ فالعاصي خارج من الإيمان ثم بعد المعصية يرجع له الإيمان مرة أخرى وكأن الإيمان قميص يخلع ويلبس

والجهمية: جعلوا الإيمان تصديقا فقط حتى ولو كان الظاهر يخالفه مخالفة كلية فالذي يصدق بقلبه أن الرسول ق حق ويسبه ويشتمه يقولون كافر في الظاهر وربما يكون مؤمنا كامل الإيمان في الباطن ومن أصحاب الجنة في الآخرة

ومن هذا الباب كان الخلاف بين هذه الطوائف فضلوا

ولكن أهل السنة تتبعوا الأدلة من الكتاب والسنة وفسروا الإيمان بما يقتضيه الدليل ولذلك يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى

ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان فتارة يقولون هو قول وعمل وتارة يقولون هو قول وعمل ونية وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة وتارة يقولون قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وكل هذا صحيح فإذا قالوا قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعا وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك إذا أطلق . انتهى [المجلد السابع صفحة 170]

وكما اختلفت هذه الطوائف في مفهوم الإيمان اختلفت في مفهوم الكفر .

2 – مفهوم الكفر.

الذين قالوا إن الإيمان تصديق فقط جعلوا الكفر تكذيبا فقط وجعلوا الأعمال لا دخل لها بكفر ولا إيمان والذين قالوا إن الإيمان كل لا يتبعض ولا يتجزأ جعلوا الكفر بمجرد المعاصي ولا علاقة للقلب به لأن العمل عندهم دليل على الكفر القلبي.

أما أهل السنة : جعلوا الكفر نوعين كفرا أكبر وكفرا أصغر كما أن الإيمان إيمانان إيمان واجب وإيمان مستحب والنفاق نفاقان نفاق ظاهر ونفاق باطن والمعصية معصيتان والشرك شركان والتوبة توبتان فكما أن الإيمان يبدأ من القلب فالكفر أيضا يبدأ من القلب وذلك باعتقاد ما هو إيمان أو باعتقاد ما هو كفر والأعمال منها ما يكون عملا من أعمال الكفر ولكنه ليس بالكفر الأكبر ومنها ما هو عمل من أعمال الكفر ولكنه ينقل الإنسان عن الملة فهذا لابد فيه من التفصيل.

فالكفر كفر اعتقاد وكفر عمل.

وكفر الاعتقاد شامل لكل أعمال الإسلام فإذا اعتقد الإنسان أن أمرا غير أمر الله أفضل أو مساو لأمر الله فإنه بذلك يكون كافرا سواء كان مع ذلك عمل أم لا لأن الاعتقاد هو أساس صلاح الأعمال أو فسادها فالرجل يزني ويعتقد حرمه الزنا وأن الله حرمه فلا يكفر ولا يخرج من ملة الإسلام وإنما هو صاحب كبيرة والآخر لا يزني ولا يقرب شيئا من دواعي الزنا ولكنه يقول الزنا حلال ويعتقد هذا بقلبه فهذا كافر خارج من ملة الإسلام وقس كل أوامر الله ورسوله على هذا المقياس .

فالاعتقاد هو الأساس الذي به يصح الإيمان أو الكفر والعمل الذي هو عمل القلب أو عمل الجوارح أو قول القلب وقول الجوارح إنما هو تبع للاعتقاد ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : فأما الإيمان بالله فهو في الجملة قد أقر به جمهور الخلائق إلا شواذ الفرق من الفلاسفة الدهرية والإسماعيلية ونحوهم أو من نافق فيه من المظهرين للتمسك بالملل وإنما يقع اختلاف أهل الملل في أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وعباداته ونحو ذلك وأما الإيمان بالرسول فهو المهم إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه إذ هو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى ولهذا كان ركنا الإسلام أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو تصديق الرسول فيما أخبر والانقياد له فيما أمر كما أن الإقرار بالله هو الاعتراف به والعبادة له فالنفاق يقع كثيرا في حق الرسول وهو أكثر ما ذكره الله في القرءان من نفاق المنافقين في حياته والكفر هو عدم الإيمان سواء كان معه تكذيب أو استكبار أو إباء أو إعراض فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر مجموع الفتاوى [المجلد السابع صفحة 638]

3– مفهوم النفاق

والنفاق جامع بين الإيمان والكفر لكنه الإيمان الظاهر والكفر الباطن وكان هذا الصنف هو من أخبث الأصناف لأنه يتلون حسب الأغراض والأهواء فكان هذا خطره أكبر من غيره فلذلك نجد أن الله تعالى قد ذكر في أول سورة البقرة صفات المؤمنين في أربع آيات ثم صفات الكافرين في آيتين ثم ذكر صفات المنافقين في ثلاث عشرة آية فكان حديث القرءان عن المنافقين متوسعا واشتمل على صفاتهم بالتفصيل.

والمقصود بيان ما في القرءان من النصوص الكثيرة التي اعتنت بذكر المنافقين وأوصافهم لتبين لنا أن المنافقين هم في الظاهر مسلمون ولكنهم في الباطن غير ذلك وقد كان المنافقون في عهد النبي ق يلتزمون أحكام الإسلام الظاهرة لا سيما في آخر الأمر ما لم يلتزمه كثير من المنافقين الذين من بعدهم وذلك لعز الإسلام وظهوره إذ ذاك بالحجة والسيف تحقيقا لقوله تعالى " هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ "

ولهذا قال حذيفة بن اليمان وكان من أعلم الصحابة بصفات المنافقين وأعيانهم وكان النبي ق قد أسر إليه عام تبوك أسماء جماعة من المنافقين بأعيانهم فلهذا كان يقال : هو صاحب السر الذي لا يعلمه أحد غيره فقال حذيفة النفاق اليوم أكثر منه على عهد رسول الله ق وفي رواية كانوا على عهد النبي ق يسرونه واليوم يظهرونه وذكر البخاري في صحيحه عن ابن أبي مليكة قال : أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ق كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَيُذْكَرُ عَنِ الْحَسَنِ مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ وَمَا يُحْذَرُ مِنَ الْإِصْرَارِ عَلَى

النِّفَاقِ وَالْعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) * وقد أخبر الله عن المنافقين أنهم يصلون ويزكون وأنه لا يقبل ذلك منهم .

ولهذا كان المنافق من أخبث الأصناف فكان جزاؤه من أشد العقوبات فقال الله عز وجل " إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ "

وقال تعالى " إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا " آية التوبة

ولكن لابد من فهم حكمة الله تعالى في أن الفرق بين المنافق والكافر الأصلي فرق كبير فالكافر الأصلي يعامل معاملة الكفار والمنافق يعامل معاملة المسلمين في الظاهر بحسب ظاهره وتجري عليهم أحكام المسلمين في الدنيا وأما في الآخرة فإنهم من الكفار ولهذا وجب التفريق بين أحكام الدنيا وأحكام الآخرة في المنافقين خاصة .

ولنعلم أن النفاق شعب وخصال ولا يقال على إنسان إنه منافق إلا إذا اجتمعت فيه الخصال أو الشعب ولهذه المسألة تفصيل سيأتي إن شاء الله .

4- مفهوم شعب الإيمان وشعب الكفر وشعب النفاق

إن هذا الأمر يجب أن يعرف جيدا لأنه به يفهم الإيمان والكفر والنفاق بتفاصيله لأن من أخطأ في مسمى الإيمان والكفر والنفاق أخطأ من هذا الباب ولذلك بين النبي ق هذا الأمر حيث قال ((الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)) وفي رواية في أعلاها لا إله إلا الله وفي أدناها إماطة الأذى عن الطريق

فكما أن الإيمان شعب لها أعلى ولها أدنى فأيضا الكفر شعب له أدنى وله أعلى أعلاها نقض لا إله إلا الله وأدناها إلقاء الأذى في طريق الناس وفي مقابل كل شعبة من شعب الإيمان شعبة من شعب النفاق من نفس جنسها ولكن يختلف فيها الظاهر والباطن فبذلك تكون كل شعبة من شعب الإيمان تقابلها شعبة من شعب الكفر وهي ضدها في الجنس وتقابلهما شعبة من شعب النفاق من جنس كل منهما ولكن مع الإيمان في الظاهر ومع الكفر في الباطن فإذا فهمنا ذلك عرفنا أن مسألة الكفر والإيمان والنفاق تحتاج إلى دراسة متأنية لأن من الشعب ما يؤدي إلى زوال الإيمان وإثبات الكفر ومن الشعب ما لا يزول الإيمان بزواله ولا يثبت كفر مخرج من الملة بتركه ومن شعب الكفر ما يثبت كفرا ويزول الإيمان به ومن شعب الكفر ما يثبت كفرا ولا يزول أصل الإيمان به والنفاق كذلك في شعب النفاق ما يثبت به نفاق خالص ويثبت إيمانا ظاهرا وكفرا باطنا ومن شعب النفاق ما لا يثبت نفاقا خالصا ولكن يكون به شعبة من شعب النفاق أو خصلة من خصال النفاق ولذلك يقول النبي ق في الحديث الذي رواه البخاري من حديث عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ق قَالَ أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ

كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ تَابَعَهُ شُعْبَةُ عَنِ الْأَعْمَشِ * فلابد من اجتماع الكل حتى نثبت نفاقا للشخص مع اجتماع الخصال التي وردت في الأحاديث الأخرى .

5- مفهوم الصغائر والكبائر من الذنوب

الكبائر هي كل معصية فيها حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة أو ورد فيها وعيد بنفي إيمان أو لعن وهذا من أفضل الضوابط التي ضبط بها بعض أهل العلم تعريف الكبيرة ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية .

والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر وصاحب الكبيرة والصغيرة لا يخرج من ملة الإسلام ولكن صاحب الكبيرة متوعد وأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه .

والله تعالى قد تكفل بغفران الصغائر إن اجتنبت الكبائر فقال تعالى " إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُدْخَلا كَرِيمًا "

فقد تكفل الله بهذا النص عمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة .

وقال تعالى " وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ "

وقال تعالى " وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ "

وقال النبي ق في الحديث الذي رواه مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ق كَانَ يَقُولُ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ *

فتعين علينا البحث عن الكبائر ما هي؟ لكي يتجنبها العبد المؤمن والكبائر بعضها أكبر من بعض وكما قال سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس الكبائر سبع فقال ابن عباس هي إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع الإصرار.

وبمناسبة ذكر الصلاة أذكر لك طرفا من حكمها وحكم تاركها وجزاؤه وذلك لأن تركها إما كفر أو أنه أكبر الكبائر بعد الشرك بالله عز وجل وهذا أقل ما فيها .

فَإِنَّ دِيْنَ اللهِ تَعَالَى يَقُومُ عَلَى الْعَدْلِ وَالْقِسْطِ لأَنَّهُ دِينٌ لا يُسَاوِي بَيْنَ الْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ وَلا الْمُسْلِمِ وَالْمُجْرِمِ وَلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ وَلا الْمُؤْمِنِ وَالْفَاسِقِ وِلا الْمُتَّقِينَ وَالْفُجاَّرِ بَلْ إِنَّهُ دِينٌ يُعْطِي كُلَّ إِنْسَانٍ مَا يَسْتَحِقُ مِنَ الُوَصْفِ وَالْجَزَاءِ وَإِلَيكَ الآَيَاتُ الَّتِي تُفَرِّقُ بَينَ كُلِّ صِنْفٍ وَضَدَّهُ مِن النَّاسِ .

يَقُولُ اللهَ تَعَالَى في سُورَةِ القَلَمِ " أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ " {القلم: 35 ، 36 }

وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى " أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ " { السجدة : 13 }

وَيَقُولَ اللهُ تَعَالَى " أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فَي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ المُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ " { ص : 28 }

وَهَذِهِ الآَيَاتُ تَدُلُّنَا عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى لا يُسَوِّي بَينَ المُسْلِمِ والْكَافِرِ وَأَيْضَا لا يُسَوِّي بَينَ الْمُسْلِمِينَ إِلاَّ بِمَا قَامُوا بِهِ مِن وَاجِبَاتِ أَوْجَبَهَا اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِم وَلِذَلِكَ كَانَ أَوْلُ شَيءِ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى بِهِ النَّاسَ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئَا فَإِنَّ ذَلِكَ هُو الأَسَاسُ الأَوَلُ الذَّي لا تَصِحُّ عِبِادَةٌ عَلَى الإِطْلاقِ إلا عَلَى أَسَاسِهِ وَلابُدَّ مِن تَوَفُّرِ الشَّرْطِ الَّذي لا بُدَّ مِنهُ وَهُو الإِخْلاصُ للهِ وَعَدَمُ صَرفِ العِبَادَةِ لِغَيرِ اللهِ وَمُضَافًا إِلَى ذَلِكَ مُوَافَقَةُ العَمَلِ لِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَمِن هُنَا كَانَ البَابُ مَفْتُوحاً أَمَامَ مَن تَوَفَّرَ فِيهِ هَذَا الشَّرطُ أَنْ يَقُومَ بِوَاجِبِاتِ الْعِبَادَةِ فَتُقْبَلَ مِنهُ وَأَوَّلُهَا الشَّهَادَتَانِ اللَّتَانِ بِمَثَابَةِ التَّعْبِيرِ عَن

الرَّغْبَةِ فِي دُخُولِ الإِسْلامِ وَتَسْلِيمِ الأَمْرِ كُلِّهِ للهِ فَإِنَّ مَن شَهِدَ الشَّهَادَتَينِ أَصْبَحَ مَعْصُومَ الدَّمِ وَحَرَامٌ دَمَهُ وَمَالَهُ وَعِرْضَهُ عَلَى المُسْلِمِينَ وَدَخَلَ في أُخُوَّةِ الإِسْلاَمِ بِمُجَرَّدِ النَّطْقِ بِهْمَا وَلَكِنْ يَالَهَا مِنْ كَلِمَةٍ تُقَالُ بِاللِّسَانِ فَيُعْصَمُ بِهَا الدَّمُ وَالمَالُ وَالْعِرْضُ وَيَكُونُ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الحَقِ دُونَ أَنْ يَقُومَ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ فَهَلْ هَذَا هُوَ الإِسْلامُ الَّذِي جَعَلَ أَتْبَاعَهُ فِي عِزَّةٍ وَفِي رِبَاطٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَوْ كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ مَا تَأَخَّرَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَنْ قَوْلِهَا (أَيْ الكَلِمَة الَتِي هِيَ الشَّهَادَتَانِ) فَإِنَهَا لا تُكَلِّفُهُ شَيْئًا وَلَكِنْ هُنَا وَجَبَ السُّؤَالُ :

كَيْفَ يَكُونُ الإِنْسَانُ مُسْلِمًا وَيُقْبَلُ مِنْهُ عَمَلَهُ وَيَكُونُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؟

فَنَقُولُ وَبِاللهِ التَّوْفِيق.

الشَّهَادَتَانِ تَعْصِمَانِ الدَّمَ فَتْرَةً قَلِيلَةً مِنَ الْوَقْتِ تَكْفِي لأَنْ يُظْهِرَ الإِنْسَانُ فِيهَا شَعَائِرَ الإِسْلاَمِ عَلَى نَفْسِهِ حَتَى يَظْهَرَ لِلْمُسْلِمِينَ وَيَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ وَسَلَّمَ الأَمَرَ للهِ بِالْفِعْلِ وَهَذَا كُلُّهُ لاَ يَتَبَيَّنُ إِلا إِذَا قَامَ الإِنْسَانُ بِمَا تَقْتَضِيهِ هَذِهِ الكَلِمَةُ (أَقْصِدُ الشَّهَادَتَينِ) مِن عَمَلٍ فَإِنَّ دِينَ الإِسْلامِ بُنِيَ عَلَى الإِيمَانِ وَالْعَمَلِ بِمَا آمَنَ بِهِ الإِنْسَانُ وَلِذَلِكَ تَجِدُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى فِي آياتٍ كَثِيرَةٍ مِن آياتِ القُرْآنِ يَقُولُ " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ " فَلِذَلِكَ كَانَ الإِيمانُ مُرْتَبِطًا بِالْعَمَلِ لا بِالكَلامِ وَأَوَلُ عَمَلٍ يَتَبَيَّنُ بِهِ إِسْلامُ المَرْءِ وَعَدَمُهُ هُوَ الصَّلاةُ الَّتِي هِي عَمُودُ الإِسْلامِ الأَوَلُ الَّذِي عَلَى أَسَاسِهِ يُقْبَلُ العَمَلُ أَو يَكُونُ فاسِدًا فَذَلِكَ نَلْمَسَهُ مِن آيَاتِ القُرْآنِ وَأَحَادِيثِ النَّبِي ق وإِلَيكَ الآياتُ .

صِفَةُ مَن تَرَكَ الصلاةَ

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فَي سُورَةِ المُدَّثِّرِ " كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إلا أَصْحَابَ اليَمِينِ *في جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ *عَنِ المُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُم في سَقَرٍ *قَالُوا لَم نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ " { 38– 43}

وإِذَا كَانَ هَذَا يَنْطَبِقُ عَلَى المُكَذِّبِينَ فَإِنَّ عَدَمَ الصَّلاةِ ضَرْبٌ مِن الضُّرُوبِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَيهِ وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى في مَوْضِعٍ آخَرَ

" كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُجْرِمُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ للمُكَذِّبينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ للمُكَذِّبينَ * فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ " { المرسلات : 46–50 }.

لاحِظْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى وَصَفَ المُجْرِمِينَ المُكَذِّبينَ بِأَنَّهُم هُمُ الَّذِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونُ وَيَقُولُ اللهُ تُعَالَى " يومَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَونَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُم تَرْهَقَهُم ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُم سَالِمُونَ " { القلم : 42–43 }

وَيَقُولُ تَعَالَى " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ مُنِيبِينَ إِلَيهِ واتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِن المُشْرِكِينَ *الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ " { الروم : 30 –31 }

فَقَدْ قَرَنَ اللهُ تَعَالى عَدَمَ الصَّلاةِ بِالشِّرْكِ

وَمِن خِلالِ هَذِهِ الآياتِ نَعْلَمُ أَنَّ الصَّلاةَ هِي أَوَلُ بَابٍ عَمَلِي للإسْلامِ يُعْرَفُ بِهِ إِذَا كَانَ المَرْءُ صَادِقًا في كَلاَمِهِ أَو غَيرُ صَادِقٍ فَيُعَامَلُ عَلَى أَسَاسِهَا في الإِسْلامِ أَو عَدَمُهُ [لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ نُكَفِّرَ تَارِكَ الصَّلاةِ كُفْرًا أَكْبَرَ إِلاَّ بَعْدَ التَّفَاصِيلَ الَّتِي فَصَلَّهَا أَهْلُ العِلْمِ في هَذِهِ المَسْأَلَةِ] وَإِلَيك الأَحَادِيثُ ثُمَّ نُفَصِّلُ .

تَارِكُ الصلاةِ وَأَحَادِيثُ النَّبِي ق

رَوَى ابنُ مَاجَةَ تَحْتَ بَابِ مَا جَاءَ فِيمَن تَرَكَ الصلاةَ بِسَنَدِهِ عَن جَابِرَ بِن عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ق ((بَيْنَ العَبْدِ وَبَينَ الكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ)) الْحَدِيثُ رَوَاه ابنُ مَاجَةَ بِرَقْم [1078] وَهُوَ صَحِيحٌ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ

وَرَوَى أَيْضًا بِسَنَدِهِ عن عَبْدِ اللهِ بن بُرَيْدَةَ عَن أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ق ((الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاةُ فَمَن تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)) الحديث رواه ابنُ مَاجَةَ برقم [1079] . والنَّسَائِيُّ [231 ج1] وَهُوَ صَحِيحٌ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ

وَرَوَى أَيْضًا بِسَنَدِهِ عن أَنَسٍ بِن مَالِكٍ عَن النَّبِي ق قَالَ ((لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالشِّرْكِ إِلاَّ تَرْكُ الصَّلاةِ فَإِذَا تَرَكَهَا فَقَدْ أَشْرَكَ)).الحديث رواه ابنُ مَاجَةَ برقم [1080] وهو صحيح

وَرَوَى النَّسَائِيُّ أَيْضًا تَحْتَ بَابِ المُحَاسَبَةِ عَلَى الصَّلاةِ عَنِ الحَسَنِ عَن حُرَيْثٍ بِن قَبِيصَةَ قَالَ قَدِمْتُ المَدِينَةَ قَالَ قُلْتُ اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَي جَلِيسًا صَالِحًا فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ فَقُلْتُ إِنِّي دَعَوْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُيَسِّرَ لي جَلِيسًا صَالِحًا فَحَدِّثْنِي بِحَدَيثٍ سَمِعْتَهُ مِن رَسُولِ اللهِ ق لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ق يَقُولُ ((إِنَّ أَوَلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلاتِهِ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فَإِنْ انْتُقِصَ من فَرِيضَتِهِ شَيُء قَالَ انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي

مِن تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلُ بِهِ مَا نَقُصَ من الفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى نَحْو ذلَكِ)). الحديث رواه النسائي صفحة [232 ج 1].

وَرَوَى ابنُ مَاجَةَ بِسَنَدِهِ عَن أَبِي الأَحْوَصِ عَن عَبْدِ اللهِ قَالَ ((مَن سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ حَيثُ يُنَادَى بِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ مِن سُنُنِ الْهُدَى وَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُم ق سُنَنَ الْهُدَى وَلَعَمْرِي لَو أَنَّ كُلَّكُم صَلَّى فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُم سُنَّةَ نَبِيِّكُم وَلَو تَرَكْتُم سُنَّة نَبِيِّكُم لَضَلَلْتُم وَلَقَدْ رَأَيتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفْ عَنْهَا إلا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ وَلَقَدْ رَأَيتُ الرَّجُلَ يُهَادَى بَينَ الرَّجُلَينِ حَتَّى يَدْخُلَ في الصَّفِ وَمَا مِن رَجُلٍ يَتطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطَّهُورَ فَيَعْمَدُ إلى المَسْجِدِ فَيُصَلِّي فِيهِ فَمَا يخطُو خُطْوَةً إلا رَفَعَ اللهُ لَهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنهُ بِهَا خَطِيئَةً)). الحديث رواه ابن ماجة برقم [771]. وهو صحيح

وَرَوَى ابنُ مَاجَةَ أَيْضًا تَحْتَ بَابِ التَّغْلِيظِ في التَّخَلُّفِ عَن الْجَمَاعَةِ بِسَنَدِهِ عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ق ((لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاةِ فَتُقَامُ ثُمَّ آمُرُ رَجُلاً فَيُصَلِي بِالنَّاسِ ثُمَّ انْطَلِقُ بِرِجَالٍ مَعَهُم حِزَمٌ مِن حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لا يَشْهَدُونَ الصَّلاةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِم بُيُوتَهُم بِالنَّارِ)) الحديث رواه النَّسَائِيُّ برقم [791] وهو صحيح

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ في المُعْجَمِ الأَوْسَطِ بِسَنَدِهِ عن أَنَسٍ بن مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ق ((أَوَلُ مَا يُحَاسَبُ عنه العَبْدُ يومَ القِيَامَةِ يُنْظَرُ في صَلاتِهِ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ)) الحديث رقم [3782] وهو صحيح

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ أَيْضًا بِسَنَدِهِ عن أَنَسٍ بن مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ق قَالَ ((أَوَلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَومَ القِيَامَةِ الصَّلاةُ فَإِنْ صَلُحَتْ صَلُحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ)) الحديث رقم [1859]. وهو صحيح.

الصَّلاةُ وَقُبُولَ العَمَل

وَبَعْدَ هَذِهِ الأَحَادِيثُ لابُدَّ وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْحِسَابَ كُلَّهُ يَنْبَنِي عَلى الصَّلاةِ فَإِنْ صَلُحَتْ الصَّلاةُ قُبِلَ مِن الإنْسَانِ بَقِيَّةُ الأعْمَالِ وَالعِبَادَاتِ وَإِنْ لَم تُقْبَلِ الصَّلاةُ فَلا يُقْبَلُ عَمَلٌ بَعْدَهَا وَيَكُونَ الإنسانُ قَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مبُينًا فَإِذَا كَانَ هَذَا لِلْمُصَلِّي الَّذِي لَم تُقْبَلُ صلاتُهُ فَمَا بَالُكُ بِمَن لا يُصَلِي هَلْ يَكُونُ لَهُ من الأعْذَارِ مَا يَجْعَلُنَا نَقُولُ إنَّهُ عَاصٍ كَالعُصَاةِ أَو أَنَّ تَرْكَ الصَّلاةِ مَعْصِيَّةٌ من المَعَاصِي (مَا لَكُم كَيْفَ تَحْكُمُونَ).

وَنَحْنُ لا نَقُولَ كَفِّرُوا تَارِكَ الصَّلاةِ أو اخْرِجُوهُ من مِلَّةِ الإِسْلامِ كَمَا يَقُولُ فَرِيقٌ مِن أَهْلِ الْعِلمِ وَيَقُولوُنَ إنَّ تَارِكَ الصَّلاةِ يَكُونُ عَقْدُ نِكَاحِهِ بَاطِلٌ وَتُطَلَّقْ زَوْجَتُهُ وَإِذَا مَاتَ لا يُغَسَّلُ ولا يُكَفَّنُ ولا يُصَلَّى عَلَيِهِ ولا يُدْفَنُ في مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ كَمَا يَرَى بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ وَمَعَهُم أَدِلَّتَهُم وَلَكِنْ أَيْضًا لا نَتَسَاهَلُ مَعَهُ حَتَّى نقَوُلُ إِنَّهُ عَاصٍ فَتَكُونُ الصَّلاةُ كَغَيْرِهَا فَنَعُدُّ تَرْكَهَا مَعْصِيَّةً كَبَقِيَّةِ المَعَاصِي ولَكنِّي أَقُولُ إِنَّ الصَّلاةَ قَدْ أَتَى في حَقِّهَا الْكُفْرُ وَالشِّرْكُ لِمَنْ تَرَكَهَا وَصِفَةُ الإِجْرَامِ فَيَكْفِي هَذَا رَادِعًا لِمَن كَانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ من إِيمَانٍ وَالمْسْلِمُ يَكْفِيهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ

وإِنْ كَانَ أَهْلُ العِلْمِ اخْتَلَفُوا في كُفْرِ تَارِكِ الصَّلاةِ أَهُوَ كُفْرٌ أَكْبَرُ أَمْ كُفْرٌ أَصْغَرُ [أَي كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ] فَلا يَهُمُّنَا هَذَا الاخْتِلافُ في كَثِيرٍ أَو قَلِيلٌ لأَنَّنَا لابُدَّ وَأَنْ نُعْطِي الأُمُورَ قَدْرَهَا فَمَن رَضِيَ عَلَى نَفْسِهِ أَيَّ نَوْعٍ من أنْوَاعِ الكُفْرِ أَكْبَرُ أَو أَصْغَرُ فَمَاذَا تَنْتَظِرُ منه وَمَا أَظُنُّ أَنَّ وَاحِدًا من المُسْلِمِينَ في مَنْطِقَتِنَا هَذِهِ لَمْ تَصِلْهُ دَعْوَةُ اللهِ بِأَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيِهِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ في اليَومِ والَّليْلَةِ وَمَعَ ذَلِكَ تَرَى كَثِيرًا من النَّاسِ لا يُصَلُّونَ ولا يُحَرِّكُ لَهُم سَاكِنٌ عِنْدَمَا يَقُولُ المُؤَذِنُ اللهُ أَكْبَرُ وَإِذَا دَعَوْتَهُم وَذَكَّرْتَهُم بِاللهِ تَعَالَى وبِالصَّلاةِ تَرَاهُم يَضْحَكُونَ وَيَبْتَسِمُونَ ثُمَّ لا يَأْتُونَ إلى الصَّلاةِ بَل تَرَى أَكْثَرَهُم يَكْذِبُ خَجَلاً من العَبْدِ وَلا يَخْجَلُونَ من اللهِ فَأَيُّ إِسْلامٍ هَذَا الَّذِي فَي قُلُوبِهم حَتَّى يَتْرُكَوا الرُّكْنَ العَمَلِيَّ الأَوَلَ الَّذِي بِهِ يُعْرَفُ صِدْقَ الإنْسَانِ في دَعْوَاهُ أَو كَذِبَهُ وَلِذَلِكَ يقَوُلُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في مُحْكَمِ آياتِهِ " فَلاَ صَدَّقَ وَلا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى " { القيامة :31–32 }

فَقَدْ رَبَطَ اللهُ تَعَالى التَّصْدِيقَ بِالصَّلاةِ والتَّكْذِيبَ بِالتَّوَلِّي وَالإِعْرَاضِ وَيَقُولُ تَعَالَى " قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّي " فَرَبَطَ اللهُ تَعَالَى ذَكْرَهُ بِالصَّلاةِ

لا إِفْرَاطَ وَلا تَفْرِيطَ

أَيَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ وَاحِدٌ مِن النَّاسِ وَيَقُولُ إِنَّ تَارِكَ الصَّلاةِ عَاصٍ كَلاًّ وَأَلْفُ كَلاًّ أَنْ نَتَسَاهَلَ في دِينِنَا وَنُفَرِّطُ إِلى هَذَا الحَدِّ وَلَكِن كَمَا أَنَّنَا لا نُكَفِّرَهُ كُفْرًا أَكْبَرَ إلا إِذَا جَحَدَ الصَّلاةَ وَاسْتَحَلَّ تَرْكَهَا فِإنَّنَا أَيْضًا لا نَتَسَاهَلُ مَعَهُ ولا بُدَّ أَنْ نُعَزِّرَهُ تَعْزِيرًا يَلِيقُ بِمَقَامِ الصَّلاةِ وَعِظَمِهَا بَيْنِ أَرْكَانِ الإِسْلامِ وَإِنْ كنُاَّ نَعْلَمُ أَنَّهُ يَجُوزُ إِطْلاقُ الكُفْرِ عَلَى مَن جاءَ في حَقِّهِ الكُفْرُ دُونَ تَعْيِينٍ فَإِنَّنَا نَقُولُ إِنَّ تَارِكَ الصَّلاةِ يَكْفُرُ وَكُلٌّ بِحَسَبِ حَالِهِ وَلَكِنَّ الَّذِي يَهُمُّنَا في هَذَا الأَمْرِ كَيْفَ نَتَعَامَلُ مَعَه أَيَأْخُذُ حُقُوقَ المُسْلِمِينَ كَامِلَةً مِنَ الثِّقَةِ والأَمَانِ وَالمُعَامَلَةِ كَمَا يُعَامَلُ غَيْرُهُ مِن المُصَلِّيَنَ ؟ أَنَمُرُّ عَلَيهِ فَنُسَلِّمُ عَلَيهِ بِتَحِيَّةِ اللهِ الَّتِي أَمَرَنَا بِهَا أم أَنَّنَا نَزْجُرُهُ وَنَهْجُرُهُ بَعْدَ دَعْوَتِهِ مَرَّاتٍ وَمَرَّاتٍ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الفَرْقُ مَا بَيْنَ المُصَلِّى وَغَيرِ المُصَلِّي وَيَكُونُ الْهُجْرانُ وَالزَّجْرُ بِحَسَبِ حَالِهِ وَإِذَا كَانَ رَسُولُنَا الكَرِيمُ ق هَمَّ أَنْ يُحَرِّقَ عَلَى الَّذِينَ يُصَلُّونَ فِي البُيُوتِ بُيُوتَهُم لأَنَّهُم لا يَشْهَدُونَ الجَمَاعَةَ في المَسْجِدِ مَعَ المُسْلِمِينَ فَهَل هُنَاكَ أَشْنَعُ مِن التَّحْرِيقِ فَمَا بَالُنَا بِمَن لا يُصَلَّيهَا لا في البَيْتِ ولا فِي المَسْجِدِ.

صَرَخَاتُ مُحِبٍ وَحَسَرَاتُ نَادِمٍ

فَيَا أَيُّهَا الغَافِلُونَ انْتَبِهُوا وَيَا أَيُّهَا الدُّعَاةُ تَوَسطُوا فَلا تُيَئِسُوا النَّاسَ وَتُقَنِّطُوهُم وَأَيْضًا لا تَتَسَاهَلُوا مَعَهُم بِحُجَّةِ التَّوَدُدِ لَهُم حَتَّى يُحِبُوكُم ثُمَّ يَقْبَلُوا كَلامَكُم ثُمَّ ثُمَّ وَلَكِنْ إِنَّ الدَّعْوَةَ إِلى دِينِ اللهِ سَهْلَةٌ يَسِيَرةٌ وَلا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلا وُسْعَهَا فَإِنَّ اللهَ لَمْ يُكَلِّفْنَا أَنْ يَذْهَبَ الإنْسَانُ مُتَكَلِّفًا إِلَى النَّاسِ إِلَى دَعْوَتِهِم وَلَكِنْ أَصْلُ الدَّعْوَّةِ قَدْ بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَى فِي قُوْلِهِ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ " وَاعْبُدُوَا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسِانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالمَسَاكِينِ والْجَارِ ذِي القُرْبَى وَالْجَارِ الجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا "

فَلَو أَنَّ الإنْسَانَ أَخَذَ لِدَعْوَتِهِ سَبِيلاً مِن خِلالِ الآيَةِ لَكَفَتْهُ وَيَكُونُ قَدْ قَامَ بِمَا عَلَيِهِ مِن تَكْلِيفٍ إِنْ صَدَقَ وَطَّبَقَ مَا في الآيَةِ

وَظِيفَةُ إِبْلِيسَ وَتَبَرُّؤُهُ مِن أَتْبَاعِهِ

فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ الْبَشِعَةِ لِمَن تَرَكَ الصَّلاةَ وَلَم يُحَافِظْ عَلَيْهَا فَإِنَّ اللهَ تَعَالىَ قَدْ عَلَّمَنَا في القُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى المُسْلِمِ فَلَقَدْ قَالَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى " وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِم إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقًا من المُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِن سُلْطَانٍ إِلا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ " [سبأ: 20،21]

وَبِذَلِكَ نَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي لا يُصَلِّي قَدْ أَصْبَحَ الشَّيْطَانُ هُوَ إِمَامُهُ وَصَاحِبُهُ وَلِذَلِكَ يُوقِظُنَا اللهُ بِقَوْلِهِ تَعالى " قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِن السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَو إِيَّاكُم لَعَلَى هُدًى أَو في ضَلاَلٍ مُبِينٍ "

فَلاَ بُدَّ وَأنْ يَكُونَ أَحَدُ الفَرِيقَينِ عَلَى هدُىً وَالآخَرُ في الضَّلالِ فَالمُصَلِّي الَّذِي اتَّبَعَ أَمْرَ رَبِّهِ وَرَضِيَ بِمَا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ ق لا يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا في ضَلالٍ وَغَيْرُ المُصَّلي الَّذِي غَفَلَ وَأَعْرَضَ وَنَسِيَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيهِ هُو المُهْتَدِي وَلِذَلِكَ عَنْدَمَا نَرَى النَّاسَ يَقُولُونَ لَيْسَتِ المَسْأَلَةُ بِالصَّلاةِ وَلا الزَّكَاةِ وَلَكِنَّ المُهِمَ نَظَافَةُ القَلْبِ والنِّيَّةُ فَنَقُولُ ظَلَمْتُم أَنْفسَكُم وَظَلَمْتُم كَلامَ رَبِّكُم مَعَكُمُ فَإِنَّ الرَّسُولَ الكَرِيمَ ق قالَ عِنْدَمَا سُئِلَ عن رَجُلٍ يُصَلِّي ثُمَّ يَسْرِقُ فَكَانَت إِجَابَةُ النَّبِيِّ ق سَيَنْهَاهَ مَا تَقُولُ وَقَدْ رَوَى ابنُ حِبَّانَ بِسَنَدِهِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ : قِيلَ يا رَسُولَ اللهِ إِنَّ فُلانًا يُصَلِّي الَّليلَ كُلَّهُ فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ قَالَ ((سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ))، قَالَ ابنُ حِبَّانَ [مَعْنَى سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولَ أَي أَنَّ الصَّلاةَ إِذَا كَانَتْ عَلَى الْحَقِيقَةِ في الابْتِدَاءِ والانْتِهَاءِ يَكُونُ المُصَلِّي مُجَانِبًا لِلْمَحْظُورَاتِ مَعَهَا كَقَوْلِهِ سُبْحَانُهُ " إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ " أ.هـ [ابن حبان : 2560]

وَصَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ إِذْ يَقُولُ " اُتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيكَ مِن الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ " [العنكبوت : 45]

فَهَلْ مِن مُعْتَبِرٍ بِهَذِهِ الآيةِ وَيَعْلَمُ مَقَامَ الصَّلاةِ في دِينِ اللهِ تَعَالى .

النِّيَّةُ الصَّالِحَةُ لا بُدَّ لَهَا مِن عَمَلٍ صَالِحٍ يَدُلُّ عَلَيْهَا

وَلا يَقُولُ قَلْبِي نَظِيفٌ وَنِيَّتِي سَلِيمَةٌ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ فَلَقَدْ قَالَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدُ ((إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وِلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)) [رواه البخاري]

وَلَمْ يَقُلْ إِنَّمَا النيَّاتُ بِالنِّيَّاتِ فَالَعْمَلُ لا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِشَرْعِ اللهِ تَعَالَى حَتَّى يَكُونَ مَقْبُولاً عِنْدَ اللهِ جَلَّ وَعَلا وَلَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في حَقِّ مَنْ تَرَكُوا أَمْرَ الرُّسُلِ وَتَغَافَلُوا عنه " أَلَمْ يَأْتِكُم رُسُلٌ مِنْكُم يَتْلُونَ عَلَيْكُم آيَّاتِ رَبِّكُم وَيُنْذِرُونَكُم لِقَاءَ يَوْمِكُم هَذَا * قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذَابِ عَلَى الكَافِرِينَ " [الزمر : 71]

فَأَيُّ قَلْبٍ هَذَا الَّذِي تَسْتَهْوِيهِ الشَّيَاطِينُ وتَجْتَالَهُ حَتَّى يَتْرُكَ الصَّلاةَ الَّتِي هَي عِمَادُ الدِّينِ الَّتِي قَالَ فِيهَا عُمَرُ ابنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه لا حَظَّ في الإِسْلامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ بَل قَالَ فِيهَا الصَّحَابَةُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ يَرَاهُ أَصْحَابُ مُحَّمَدٍ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاةِ وَذَلِكَ كَمَا رَوَاه التِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ وابنُ نَصْرٍ في تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلاةِ بِأَسَانِيدِهِم عنَ عبَدْ اللهِ بن شَقِيقٍ قَالَ : " كَانَ أَصْحَابُ النَّبِي ق لا يَرَوْنَ شَيْئًا مِن الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاةِ " [الترمذي :2622]

فَهَل مِن تائِبٍ عَن تَرْكِهَا رَاجِعٍ إِلَى رَبِّهِ مُنِيبًا إِلَيهِ لِيَفْتَحَ صَفْحَةً جَدِيدَةً فَلَرُبَّمَا تَكُونُ الخَاتِمَةُ فَيُحْسِنُ وُقُوفَهُ بَين يَدِي رَبِّهِ وَتَكُونُ حُجَّتَهُ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ يَا رَبُّ وَقَدْ وَعَدْتَ يَا رَبَّ وَوَعْدُكَ الْحَقُ وَقُلْتَ " إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَناتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا " .

الْجَزَاءُ مِن جِنْسِ العَمَلِ

وَلَقَدْ كَانَ الإِسْلامُ مِن مَبْدَأِهِ وَإِلَى مَنْتَهَاهُ يَقُومُ عَلَى الْعَدْلِ والأَمَانِ وَالْجَزَاءِ الأَوْفَى مِن اللهِ رِبِّ العالَمِينَ

فَقَالَ تَعَالَى : " وَللهِ ماَ فِي السَّمَواتِ وَمَا في الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالحُسْنَى " { النَّجم :31 }

وَلِذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُبَيِّنُ أَنَّ المُؤْمِنَ هُوَ الَّذِي يَسْتَجِيبُ لأَوَامِرِ اللهِ جَلَّ وَعَلا فَقَالَ تَعَالى وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِن فَضْلِهِ وَالْكَافِرونَ لَهُم عَذَابٌ شَدِيدٌ { الشورى : 26 } .فَقَدْ رَبَطَ اللهُ تَعَالَى الاسْتِجَابَةَ لأَوَامِرِهِ بِالإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَمَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ فَإِنَّه يَكُونُ دَلِيلاً عَلَى عَدَمِ إِيمَانِهِ فَإِنَّ الآيَةَ تَنْفِي عَنهُ الإِيمَانَ الَّذِي يَرْضَاهُ رَبُّ العَالَمِينَ وَلِذَلِكَ يَقُولُ والَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهُم وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُم سِرَّاً وَعَلاَنِيَّةً وَمِن رَبُّنَا في مَوْضِعٍ آخَرَ هُنَا نَفْهَمُ أَنَّ الاسْتِجَابَةَ للهِ لا تَكُونُ إلا بِإِجَابَةِ النِّدَاءِ للصَّلاةِ الَّتِي هِي عِمَادُ الدِّينِ وَرُكْنُهُ الأَصِيلُ الَّذِي جَاءَ في حَقِّ تَارِكِهِ مَا يَغْضَبُ الإِنْسَانُ لَو سَمِعَهُ وَلَكِنْ لَيْسَ لَنَا حِيْلَةٌ لأَنَّ اللهَ هُو الَّذِي حَكَمَ وَلَهُ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَلَهُ الحُكْمُ وَإِلَيهِ تُرْجَعُونَ وَلَهُ الحُكْمُ في الأُولَى وَالآَخِرَةِ سُبْحَانَهُ جَلَّ في عُلاهُ وَلا تَنْس أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالى جَعَلَكَ في مَعِيَّتِهِ وَرَعَاكَ بِرِعَايَتِهِ وَأَعْطَاكَ كُلَّ شَيءٍ في مُقَابِلَ لا شَيءٍ فَهَلْ تُحَافِظُ عَلَى أَنْ تَكُونَ في مَعِيَّةِ اللهِ أَمْ تَتْرُكَ نَفْسَكَ للشَّيْطَانِ يَتَلاعَبُ بِكَ كَيْفَ يَشَاءُ مَعَ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالى عَلَّمَنَا أَنَّ الشَّيْطَانَ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُم عَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ فَيَا مَن تَرَكْتَ الصَّلاةَ كَسَلاً أَو تَهَاوُنًا أَوْ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ هَلْ أَنْتَ في مَعِيَّةِ اللهِ أَمْ تَرَكْتَ نَفْسَكَ لِلشَّيْطَانِ يَتَلاعَبُ بِكَ وَيَدْعُوكَ فَتَسْتَجِيبَ وَإِلَيْكَ الآيَاتُ يُخْبِرُ اللهُ بِهَا عِن الشَّيْطَانِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِ.

اَلْمُؤْمِنُونَ وَسَلْطَانُ الشَّيْطَانِ

" إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هَم بِهِ مُشْرِكُونَ " { النحل 100،99}

إِذَنْ يَجِبُ عَلَيكَ أَخِي المُسْلمُ أَنْ تُدْرِكَ خُطُورَةَ الأَمْرِ لأنَّ الشَّيْطَانَ يَتَبَرَّأ مِن الَّذَينَ اسْتَجَابُوا لَهُ في الدُّنْيَا يَومَ القِيَامَةِ وَهَذَا هُوَ مَا نُصَّ عَلَيِهِ في كِتِابِ اللهِ جَلَّ وَعَلا في قَوْلِ اللهِ تَعَالَى " وَبَرَزُوا للهِ جَمِيعَاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ للذين اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا من عَذَابِ اللهِ من شَيءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا من مَحِيصٍ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ من سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُوُمُونِي وَلُومُوا أَنْفَسَكُمْ " إبراهيم: 21 ، 22

فَهَلْ سَمِعْتَ مَاذَا فَعَلَ الشَّيْطَانُ بِكَ فِي الدُّنْيَا وَمَاذَا قَالَ لَكَ في الآخِرَةِ إِنَّهُ أَلقَى الَّلوم كُلَّهُ عَلَيْكَ وانْظُرْ إلى قَوْلِ الشَّيْطَانِ في مَوْضِعٍ آخَرَ في قَولِ اللهِ تَعَالىَ " كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ للإِنْسَانِ اكْفُر فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنَّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالمَينَ " الحشر : 16 .

وَلا يَقُولَنَّ أَحَدٌ من النَّاسِ إِنَّ الآياتِ تَتَحَدَّثُ عَنِ الكُفَّارِ فَلَيْسَ لَناَ شَأْنٌ بِهَا فَأَقُولُ لا تَنْسَ آرَاءَ أَهْلِ العِلْمِ في تَارِكِ الصَّلاةِ فَإِنَّهَا في أَقَلِ أَحْوَالَهَا ضَرْبٌ من ضُرُوبِ الكُفْرِ الَّذي يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَبْتَعِدَ عنهْ

التَّشْبِيهُ لَّلذِي لا يُصَلِّي فِي القُرْآنِ

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنِّي أَسُوقُ إِلَيْكَ تِلْكَ الآياتِ الَّتِي لَوْ تَدَبَّرْتَ تِلاَوَتِهَا لَوَجَدَّتهَا وَصْفًا لِحَالِ تَارِكِ الصَّلاةِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمُسْلِمٍ في أَقَلِ أَحْوَالَكَ أَنْ تَتَرَفَّعَ عَنْ هَذِهِ المَنْزِلَةِ وَالْوَصْفُ مِنَ اللهِ تَعَالى يَقُولُ تَعَالَى في سُورَةِ المُدَّثِرِ "كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ اليَمِينِ في جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ المُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ في سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ المِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَومِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا اليَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ فَمَا لَهُمُ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةِ "

أَتَدْرِي مَا مَعْنَى هَذَا التَّشْبِيهِ والتَّصْوِيرِ أَتَرْضَاهُ عَلَى نَفْسِكَ ؟

إِنَّهُ تَشْبِيهٌ لِلَّذِي لا يُصَلِّي بِأَنَّهُ كَالحِمَارِ كَمَا جَاءَ في قَوْلِهِ " كَأَنَّهُم حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ " ثُمَّ اشْتَدَتْ الصُّورَةُ فَأَصْبَحَتْ كَأَنَّ الْحِمَارَ يَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ خَوْفًا وَرُعْبًا فَهَلَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ بِهَذَا الوَصْفِ كَالْحِمَارِ يجَرْيِ مَنِ الأَسَدِ خَوْفًا فَلا يَدْرِي إِلَى أَيِ مَكَانٍ يَذْهَبُ

نِدَاءٌ وَرَجَاءٌ

فَيَا أَيُّهَا الغَافِلُ تَيَقَّظْ مِن غَفْلَتِكَ فَأَنْتَ لا تَدْرِي مَتَى يَكُونُ الِّلقَاءُ مَعَ مَلَكِ المَوْتِ وَأَنْتَ لا تَدْرِي أَيَعْفُو اللهُ عَنْكَ أَمْ يُعَذِّبُكُ ؟ وُلُكِنْ ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فَهُوَ القَائِلُ " وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنِ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ من فَضْلِهِ " الشورى : 25 :26

ثم تذكر قول الله تعالى في سورة الرعد لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسابِ " الرعد : 18

ثم تذكر صفة المؤمنين الصادقين كما قال الله تعالى " الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ " { الرعد : 21 ، 22 } .

ثم ألا ترى أن الصلاة صمام أمن وأمان للإنسان في دنياه وآخرته كما قال الله تعالى في سورة المعارج " إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ ثم جاء ختام الآيات بقوله تعالى وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ * فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٌ "

فبدأت الآيات بوصف الإنسان بالهلع والجزع والخوف والضيق والقلق ثم استثنى الله تعالى المصلين من ذلك الجزع والخوف ثم وصفهم بأنهم الذين يداومون على الصلاة وانتهت الآيات في وصف الإنسان بقوله " وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ " ألا ترى أن الصلاة ذكرت في أول الآيات وآخر الآيات أيضا ألا يدلك هذا على أهميتها بل لو علمت أنها كانت آخر وصية لرسول الله ق الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وأيضا كانت وصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو ينزف منه الدم بعدما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي وقد جيء له بماء فشربه فخرج من

جرحه ثم جيء له بلبن فشربه فنزل اللبن من جرحه ومع ذلك يطلب الماء ليتوضأ ويقوم فيصلي ويقول لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة ألا يكفيك ما قلنا لكي تعود إلى ما حرمت نفسك منه طيلة ما مضى عليك من الزمن فهل تعلم أن الذي لا يصلي محروم وهو الذي حرم نفسه من الفلاح فقال الله تعالى " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ للزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَاخَالِدُونَ " .

ألا ترى وتلاحظ أن الآيات ذكرت الصلاة أول صفة للمؤمن وأيضا كانت آخر صفة فإنها الصلاة التي لا إسلام للعبد ولا إيمان له إلا بإقامتها فاحرص أن تكون من المؤمنين الذين آمنوا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ق نبيا ورسولا وبرهن على إيمانك وإسلامك ورضاك بالله ربا بالصلاة فإنها خير دليل ظاهر تعرف به بين المسلمين وإياك إياك من المقولات الباطلة التي انتشرت في أمة الإسلام مثل الحكاية مش بالصلاة ولا باللحية المهم النية ونظافة القلب إن الله غفور رحيم.

تحذير وإنذار

إحذر ترديد هذه المقولات دون فهم فالصلاة عماد الدين واللحية من الدين والنية لا بد لها من العمل الصالح والقلب لا يكون نظيفا عامرا طاهرا إلا بالاستجابة لأوامر الله عز وجل وكما أن الله غفور رحيم فإنه أيضا عذابه أليم كما قال الله تعالى " نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ " { الحجر 49-50}

فلتكن هذه الرسالة دافعا وسببا في عودتك لربك وتوبتك وإنابتك لله رب العالمين فإنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

وأخيرا إليك هذه الصورة التي رسمها القرآن للذين أخذوا الدنيا سبيلا إلى رفعتهم يقول ربنا سبحانه وتعالى " يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُم عَنِ الآَخِرَةِ هُم غَافِلُونَ " {الروم:7 }

فكان الذم للعلم بأمور الدنيا وترك أمور الآخرة ثم تأتي الندامة والحسرة عند الحساب يوم القيامة فيقول ربنا سبحانه وتعالى في سورة ق " وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ " {ق21: 25 } وأنت قد منعت الخير عن نفسك

صورة وعبرة من حوار من في النار

فهل من عبرة وعظة من كلام رب العالمين حتى تنجو من العذاب الأليم الذي رسمه الله تعالى لك في سورة غافر فيقول تعالى " وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العِبَادِ " غافر:47: 48

فلو نظرت لوجدت أن الآية تصف الضعفاء والمستكبرين الذين استهوتهم الشياطين للهو واللعب في الدنيا والنظر إلى متاعها وشهواتها بأنهم يلقي بعضهم على بعض اللوم ولكن انظر أين هم عندما يتلاومون ؟ فالآية تخبرنا أنهم في النار ومع ذلك يقول الضعيف للمستكبر الذي اتبع الشيطان ألم أكن لك تابعا تدعوني فأستجيب لك أتتحمل عني شيئا من العذاب؟ ولكن يرد المستكبر إنا كل فيها وعندئذ تكون الحسرة والندامة لكل من عصى الله سواء كان تابعا أو متبوعا والكل يقول إن الله قد حكم بين العباد ولكن انظر إلى بقية الصورة المرسومة فيقول ربنا سبحانه وتعالى في بقية الآيات " وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ العَذَابِ "

وقد علمت قبل ذلك أن الكل في النار لا فرق بين من كان تابعا أو من كان متبوعا والكل يتمنى أن يخفف الله عنه يوما من العذاب ألم تر بشاعة الصورة المرسومة التي لو تفكرت فيها لحظات لتراجعت عما أنت فيه ثم انظر إلى السبب الذي من أجله وضع الكل في النار تأتي الآيات فتخبرنا فيقول الله تعالى " قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاُء الكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ " وما كان هذا التوبيخ في الوقت الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم إلا من أجل أن الناس تركوا أمر الرسل في الدنيا واتبعوا أمر كل شيطان مريد ولو نظرت إلى نفس الصورة في سورة سبأ لوجدت أن الله سبحانه وتعالى يقول " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا القُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَو تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عَنْدَ رَبِّهِم يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ القَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلاَ أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ " فيكون الرد من المستكبرين كما قال

الله تعالى " قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " [سبأ:33]

وصورة الظالم يوم القيامة إنما تكون من أجل أنه ترك سبيل الرسل يقول تعالى " وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولَ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَن الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍ عَدُوًّا مِنَ المُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيرًا " { الفرقان:27: 31 }

كما ينقل لنا القرآن نفس الصورة فيقول " يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ وَقاَلُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَينِ مِنَ العَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا " { الأحزاب66– 68 }

فقبل أن تأتي إلى هذا الموقف فاتق الله في نفسك وأصلح ما أفسدته فلربما يحسن الله خاتمتك وتكون سببا في نصرة المؤمنين بدعوة تدعوها أو صلاة تصليها .

وضوح الرؤية

وبذلك تكون الصورة قد وضحت أمام عينيك فإن رأيتها بعين الاعتبار دعونا الله لك بالتوفيق والسلامة والأمن والأمان والسلامة والإسلام وإن نظرت إليها بعين الاستخفاف والاستهانة فلا نملك إلا أن نقول حسبنا الله ونعم الوكيل ونسأل الله لنا ولك الهداية .

وبعد ذلك نسوق إليك قول الله تعالى " قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ قَلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ العَلِيمُ " { سبأ: 26،25 } .

ونسوق إليك أيضا قول الله تعالى " وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ المُبِينُ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى المُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ " {الحجر89–95 }.

فالحمد لله الذي علمنا وفهمنا كما قال النبي الكريم ق في الحديث الذي رواه البخاري من حديث حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ق يَقُولُ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ *

فنسأل الله تعالى أن يفقهنا في ديننا وأن يعلمنا من ديننا ما جهلنا وأن يبصرنا وإخواننا المجافي والمغالي منهم بالحق المبين وأخيرا نقول اللهم اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم والحمد لله رب العالمين.

6 – مفهوم دخول الجنة والنار

إن دخول الجنة دخولان ودخول النار دخولان فدخول الجنة دخولا أوليا كالذين يدخلون الجنة بدون سابقة عذاب ولا عقاب وهذا إذا ورد دخول الجنة مطلقا دون قيد ولكن عندما تأتي النصوص كما روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ق قَالَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ وَلَا عَاقٌّ وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ* [رواه أحمد] وغيرها من النصوص فنفي دخول الجنة هنا لا بد وأن يحمل على أنه منفي عن الدخول الأولي مع الداخلين ولكن يدخل بعدهم وهذا ما لم يفهمه الخوارج والمعتزلة وكفروا الناس به ولذلك وجب فهم هذا الأمر جيدا حتى تتبين لنا الحقيقة من مراد الشارع من النص ومن أجل ذلك كان أهل السنة دائما ينهون ويشددون على مسألة جمع الأدلة برواياتها حتى يتبين المراد ويحسن الفهم ولا تختلط الأوراق فنضل [انتبه]

وأيضا دخول النار كذلك فإن الكفار يدخلون النار الدخول الأول ثم يدخل العصاة من المؤمنين النار لينال كل منهم نصيب ذنوبه إن لم يغفر له ولذلك كان دخول النار دخولين دخول الكفار أولا ودخول العصاة بعد ذلك والجنة درجات والنار دركات فالمؤمنون متفاوتون في درجاتهم في الجنة والكفار لهم في النار أسفل الدركات والعصاة من المؤمنين لهم الدركات العليا من النار والكفار خالدون فيها والمؤمنون خارجون منها بعفو الله ورحمته ووعد الله لا يتخلف

7 – مفهوم السمع والطاعة

ضل أقوام لعدم فهم مفهوم السمع والطاعة ومن هنا كان تفصيل القرآن الكريم لهذه المسألة فقال الله عز وجل " آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بَاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا " البقرة/285

كانت الصفة اللازمة للمؤمن هي السمع والطاعة وقوله تعالى " إِنَّمَا كَانَ قَولَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بِيْنَهُم أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا " النور/51

مَاهُوَ الإِسْلامُ الْحَقِيقِيُّ

الإِسْلاَمُ مَعْنَاهُ أَن تُسَلِّمَ كُلَّ أَمْرٍ للهِ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ أَتَدْرِي لِمَاذِا ؟

لأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ :

" إِنَّمَا كَانَ قَولَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بِيْنَهُم أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا " النور/51

" وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِم وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا " الأحزاب/36

" آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بَاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا " البقرة/285

فَالآيَاتُ كُثِيرَةٌ تَتَحَدَّثُ عِن الطَّاعَةِ بِأَنَّهَا مِن صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَحْدَهُم دُونَ غَيْرِهِمْ لأَنَّ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا "

<u>وَإِلَيْكَ الآيَاتُ</u>

" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُم إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ " البقرة/**93**

وَيَقُولُ تَعَالَى أَيْضَاً :

" مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيَّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَو أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلاً " النساء/**46**

فَبِاللهِ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَاتُ الَّتِي قَرَأْتَهَا لَو تَدَبَّرْتَ مَعْنَاهَا وَلَو لِلَحظَاتٍ قَلِيلَةٍ أَلاَ تَفْهَمُ مِنهَا أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا كَفَرُوا بِاللهِ وَاسْتَحَقُّوا اللَّعْنَةَ وَالْغَضَبَ إِلا لأَنَّهُم سَمِعُوا وَلَكِنَّهُمْ عَصَوا وَلِذَلِكَ يَقُولُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُحَذِّرًا إِيَّانَا مِن فِعْلِهِم :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوا عَنهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُم لا يَسْمَعُونَ " الأنفال/**20**

وَيَقُولُ تَعَالَى " وَقَالُوا لَو كُنَّا نَسْمَعُ أَو نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ " الملك/**10**

أَهَمُّ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فَإِنِّي أَدْعُوكَ أَخَا الإِسْلاَمِ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الصِّفَةُ

صِفَةُ الطَّاعَةِ – نُصْبَ عَيْنَيْكَ عَلَى الدَّوَامِ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مُسْلِمًا حَقًّا كَمَا يُرِيدُ مِنكَ رَبُّكَ ، وَلَكِنِّي إِذْ أَدْعُوكَ أُحَذِّرُكَ أَيْضًا مِمَّا وَقَعَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ ادَّعَوا الاِلْتِزَامَ وَالتَّدَيُّنَ وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَن ذَلِكَ ! كَلاَمٌ غَرِيبٌ وَعَجِيبٌ وَلَكِن سَيَزُولُ عَجَبُكَ وَاسْتِغْرَابُكَ هَذَا سَرِيعًا لَو عَلِمْتَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ تَتَوَفَّرُ فِيهِم صِفَةُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ! وَلَكِن لَيْسَ سَمْعُهُم وُطُاعَتْهُم للهِ إِنَّمَا سَمْعُهُم وَطَاعَتْهُمْ لِشَخْصٍ بِعَيْنِهِ وَكَأَنَّهُ مَعْصُومٌ! مَعَ أَنَّ الْقَاعِدَةَ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا دِينُ الإِسْلاَمِ كُلٌّ يُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُتْرَكُ إِلاَ الْمَعْصُومُ ق فَهَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُقَدِّسُونَ الأَشْخَاصَ وَيُطِيعُونَهُمْ طَاعَةً عَمْيَاءَ ، كُلُّ هَؤُلاَءِ ضَلُّوا الطَّرِيقَ لأَنَّهُمْ جَعَلُوا السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِبَشَرٍ مِثْلَهُمْ فَكَانُوا كَالْعَابِدِينَ لَهُمْ –كَالصُّوفِيَّةِ مَثَلاً – فَإِنَّ الصُّوفِيَّةَ يَشْتَرِطُونَ عَلَى تَلاَمِيذِهِمْ أَن لاَ يُعَارِضُوا قَوْلَ الشَّيْخِ وَأَنْ يُنَفِّذُوا كُلَّ كَلاَمِ الشَّيْخِ دُونَ مُجَادَلَةٍ بِحَجَّةِ أَنَّ الشَّيْخَ وَصَلَ وَلاَ يَسْتَطِيعُ التِّلْمِيذَ أَنْ يَعْلَمَ مَا يَفْعَلُهُ الشَّيْخُ إِلاَ بَعْدَ أَنْ يَصِلَ مِثْلَهُ ، وَتَجِدُ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ اتَخَذُوا مِنَ الْمَذَاهِبِ وَسِيلَةً إِلَى ضَيَاعِ أَحْكَامِ الدِّينِ بِالْخِلاَفَاتِ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ أَوْ مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْمَذَاهِبِ غَيْرِ الْمَشهُورَةِ دُونَ النَّظَرِ إِلَى أَدِلَّةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَةِ الصَّحِيحَةِ ! وَهَذَا لاَ يَعِيبُ الأَئِمَّة الَّذِينَ هُمْ رَأْسُ أَهْلِ السُّنَةِ وَلَكِنَّ الْعَيْبَ فِيمَنْ أَخَذُوا كَلاَمَهُمْ دُونَ أَنْ يُرَاجِعُوا أَدِلَّتَهُمْ فَكُلٌ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ إِلاَ الرَّسُولَ ق فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فِي مَسْأَلَةٍ وَكَانَ الدَّلِيلُ فِيهَا مُخَالِفًا لأَحَدِ الْمَذَاهِبِ فَلاَ تَجِدُ إِلاَ الاعْتِرَاضَ مِنَ النَّاسِ بِحُجَةِ أَنَّ الإِمَامَ مَالِكٍ قَالَ كَذَا وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ الإِمَامِ مَالِكٍ ، أَوْ الإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ قَالَ كَذَا وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ ، أَوْ الإِمَامَ الشَّافِعِي قَالَ كَذَا وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ الإِمَامِ الشَّافِعِي ، أَوْ الإِمَامَ أَحْمَدَ قَالَ كَذَا وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَلَوْ أَنَّ إِمَامَ مَذْهَبِهِ كَانَ كَلاَمُهُ مُخَالِفًا لِلدَّلِيلِ لَوَجَدْتَهُ يَتَمَسَّكُ بِهِ أَيْضًا وَكَأَنَّ الاحْتِكَامَ أَصْبَحَ لِمَا يَقُولُهُ الْمَذْهَبُ لاَ لِمَا يَقُولُهُ اللهُ وُرَسُولُهُ ، وَتَجِدُ النَّاسَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ عِبَارَةٌ يَقُولُونَهَا لا تَدْرِي أَيَضْحَكُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِهَا أَوْ أَنَّهُمْ لا يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُونَ فَتَجِدُهُمْ يَقُولُونَ : كُلٌّ مِن رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسُ !

وَنَحْنُ لا نُرِيدُ الالْتِمَاسَ وَلَكِنَّا نُرِيدُ الإتِبَاعَ وَالانْقِيَاد لِمَا قَالَ اللهُ أَوْ قَالَ رَسُولُهُ أَيًّا كَانَ القَائِلُ بِالدَّلِيلِ وَتَرَى النَّاسَ يَفْعَلُونَ بَعْضَ الأَشْيَاءِ المُحَرَمَةِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا مُحَرَمَةٌ وَإِذَا تَكَلَّمْتَ مَعَهُمْ قَالُوا إِنَّ المُفْتِي أَفْتَى بِكَذَا وَكَأَنَّهُمْ يُحَمِّلُونَ المُفْتِي تَبِعَةَ كُلِّ شَيْءٍ هَلْ ظَنُوا أَنَّ المُفْتِي مَعْصُومٌ مِنَ الخَطَأَ – وَالمَقْصُودُ بِالمُفْتِي هُنَا كُلُّ إِنْسَانٍ يُفْتِي فِي دِينِ اللهِ – وَهَذَا الكَلاَمُ لَيْسَ خَاصًا بِأَحَدٍ بِعَيْنِهِ وَلَكِنَّهُ يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ أَفْتَى فِي أُمُورِ الدِّينِ أَوْ عَالِمًا جَلَسَ لِيُعْطِيَ دَرْسًا أَوْ يَعِظُ النَّاسَ فَتَجِدُ كُلاً يَتَمَسَّكُ بِقَوْلِ العَالِمِ أَوْ الشَّيْخِ الَّذِي يَحْضُرُ لَهُ الدَّرْسَ مَعَ أَنَّ القَاعِدَةَ العَامَةَ كُلٌّ يُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُرَدُ إِلاَ الرَّسُولُ ق .

أَوْ مَا أَصَابَ الجَمَاعَاتِ وَالَّتِي أَصْبَحَتْ كَثِيرَةَ العَدَدِ وَمِنْ كَثْرَتِهِمْ أَصْبَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ أَيُّ جَمَاعَةٍ مِنْ هَذِهِ الجَمَاعَاتِ عَلَى الحَقِ ؟

وَمَعَ ذَلِكَ تَجِدُ كُلَّ جَمَاعَةٍ تُقَدِّسُ أَمِيرَهَا الَّذِي بَايَعَتْهُ بِالْبَاطِلِ وَظَنُّوا أَنَّهُ صَاحِبُ الحَقِ فِي الأَمْرِ وَالنَّهْيِّ وَالْفُتْيَا دُونَ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَعْرِفَ كُلَّ ذَلِكَ إِلاَ إِذَا شَاهَدَ مَا يَحْدُثُ دَاخِلَ المُعْتَقَلاَتِ فَفِيهَا مِنْ كُلِّ الأَفْكَارِ الَّتِي تَخْطُرُ عَلَى البَالِ أَوْ لاَ تَخْطُرُ عَلَى البَالِ فَتَجِدُ هَذَا لاَ يُصَلِّي وَرَاءَ هَذَا وَهَذَا يُكَفِّرُ هَذَا وَهَذَا يَسُبُّ فِي هَذَا لأَنَّهُمْ لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى الأَصْلِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهِ وَهُوَ الكِتَابُ وَالسُّنَةُ بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ الَّذِينَ زَكَّاهُمُ اللهُ فِي القُرْآنِ وَزَكَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ق فِي أَحَادِيثِهِ ، وَلَكِنْ مَا أَدْعُوكَ لَهُ هُوَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ للهِ وَفَقَطْ .

وَالبَشَرُ كُلُّهُمْ دُونَ اسْتِثْنَاءٍ عَدَا – الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ – طَاعَتُهُمْ تَأْتِي تَبَعًا لأَمْرِ اللهِ تَعَالَى فَمَنْ سَمِعَ وَأَطَاعَ للهِ كُنَّا لَهُ مُطِيعِينَ وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا .

قَاعِدَةُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ

وَعَلَيْكَ دَائِمًا بِالقَاعِدَةِ العَامَّةِ: كُلٌّ يُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُرَدُّ إِلاَ الرَّسُولَ ق ، وَمِنْ هَذَا الَّذِي سَبَقَ نَفْهَمُ أَنَّ الأَمْرَ يَسِيرٌ وَلَيْسَ فِيهِ عُسْرٌ وَلاَ خِلاَف. وَلَكِنَّ العُسْرَ يَأْتِي مِنْ تَدَخُّلِ الإِنْسَانِ فِي التَّعْدِيلِ عَلَى أَمْرِ اللهِ وَاتِّبَاعِ هَوَاهُ وَالأَخْذِ بِظَنِّهِ هُنَا يَأْتِي الخِلاَفُ لأَنَّ الأَهْوَاءَ تَخْتَلِفُ وَالْعُقُولَ قَاصِرَةٌ عَلَى أَنْ تَفْهَمَ الحِكْمَةَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالظُّنُونَ لاَ تُؤَدِي إِلاَ إِلَى الخِلاَفِ ، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ نَعْرِفُ أَنَّ الزَّيْغَ وَالضَّلاَلَ لاَ يَأْتِيَانِ إِلاَ مِنْ خِلاَلِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى وَإِلَيْكَ أَيْضًا الدَّلِيل مِنَ القُرْآنِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى عَنِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى " اتَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " التوبة 31

وَلاَ يَقُولُ قَائِلٌ إِنَّ الآيَةَ تَذُمُّ النَّصَارَى لأَنَّهُمْ قَالُوا المَسِيح ابن اللهِ أَوْ هُوَ اللهُ وَنَحْنُ لَمْ نَقُلْ ذَلِكَ وَلَكِنِي أَقُولُ لَكَ تَدَبَّرْ قَلِيلاً فَالآيَةُ تَقُولُ " اتَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ " أَيْ عُلَمَاءَهُمْ " وَرُهْبَانَهُمْ " أَيْ عُبَّادَهُمْ أَيْ خِيَار النَّاسِ فِيهِمْ مِنْ عُلَمَاءَ وَعُبَّادٍ اتَّخَذُوهُمْ آلِهَةً لأَنَهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ لَهُمْ وَيُطِيعُون طَاعَةً عَمْيَاءَ دُونَ النَّظَرِ إِلَى أَدِلَّةِ الكِتَابِ الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ الإِنْجِيلُ وَلَمْ يَتَّبِعُوا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَلِذَلِكَ سَمَّاهُمُ اللهُ مُشْرِكِينَ بِنَصِ الآيَةِ وَأَيْضًا لأَنَّهُمُ اتَّخَذُوا الْمَسِيحَ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللهِ أَتَدْرُونَ لِمَاذَا؟ لأَنَهُمْ ظَلُّوا يَمْدَحُونَهُ مَدْحًا مُسْتَمِرًّا حَتَى أَخْرَجُوهُ عَنْ كَوْنِهِ بَشَرًا ، وَلِذَلِكَ نَرَى أَنَّ رَسُولَ اللهِ ق لَمْ يَتَوَانَ فِي أَنْ يُحَذِّرَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنْ يَقَعُوا فِي هَذِهِ الشِّبَاكِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا اليَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالَ ق ((لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ)) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه وَهُوَ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ بِرَقْمِ/ 7363 .

إِذَنْ ضَلَّ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى وَاسْتَحَقُّوا اللَّعْنَةَ وَالغَضَبَ مِنَ اللهِ لأَنَّهُمْ سَمِعُوا وَأَطَاعُوا لِغَيْرِ اللهِ [فَتَنَبَّهْ] مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ سَامِعًا مُطِيعًا للهِ وَرَسُولِهِ وَفَقَطْ وَالْعُلَمَاءُ وَالأُمَرَاءُ مُنَفِّذُونَ أَوْ –إِنْ شِئتَ قُلْ – وَسِيلَةٌ لِفَهْمِ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَفَقَطْ وَلِذَلِكَ مَا هُوَ مَشْهُورٌ عِنْدَ النَّاسِ مِنْ أَمْرِ الاجْتِهَادِ فَتَجِدُهُمْ يَقُولُونَ فُلاَنٌ يَجْتَهِدُ لِمُجَرَدِ أَنَّهُ جَلَسَ يَتَكَلَّمُ كَلاَمًا مَعْسُولاً أَوْ لَدَيْهِ شَيْءٌ مِنَ

اللَّبَاقَةِ فِي الكَلاَمِ مَعَ أَنَّهُ لاَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ وَالْحَدِيثِ الضَّعِيفِ ، وَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ الأَحْكَامِ وَفَضَائِلِ الأَعْمَالِ وَالأَمْرُ عِنْدَهُ سَوَاءٌ وَفِي أُمُورِ دُنْيَاهُ يُدَقِّقُ وَيَسْأَلُ وَيَتَمَحَّصُ وَيَسْتَعِينُ بِأَهْلِ الذِّكْرِ وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الطَّيِّبِ وَالرَّدِيءِ وَالْغَالِي وَالرَّخِيصِ وَالْمَكْسَبِ وَالْخُسَارَةِ ! وَهَذَا مَفْهُومٌ خَاطِئٌ وَلَكِنَّ الْمَفْهُومَ الصَّحِيحَ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَةِ مِن أَنَّ الاِجْتِهَادَ هُوَ تَحْصِيلُ الأَدِلَّةِ الصَّحِيحَةِ مِن كِتَابِ اللهِ وَأَحَادِيثِ رِسُولِ اللهِ ق بِفَهْمِ الْقُرُونِ الثَّلاَثَةِ الأُولَى الْمُزَكَّاةِ مِن قِبَلِ رَسُولِ اللهِ ق عِنْدمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ق ((ﷺقَالَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ من حديث عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم)) صَدَقَ رَسُولُ اللهِ ق فَيَكُونُ الأَمْرُ عَلَى هَذَا اتِّفَاقًا فِي الطَّرِيقَةِ وَالأُسْلُوبِ فَيَكْثُرَ الاِتِّفَاقُ بَعْدَ ذَلِكَ فَي الأَحْكَامِ وَالْمَسَائِلِ ، أَمَّا مَا يَحْدُثُ مِن النَّاسِ أَن يَشْرُدَ كُلُّ إِنسَانٍ بِطَرِيقَتِهِ الخَاصَّةِ فَهَذَا يَأْخُذُ الْعَقْلَ سَبِيلاً ، وَهَذَا يَأْخُذُ اْلكِتَابَ وَحْدَهُ سَبِيلاً [كَهَؤُلاءِ الَّذِينَ لا يَعْتَرِفُونَ بِالسُّنَةِ وَيُسَمُّونَ أَنفُسَهُم بِالْقُرْآنِيِّينَ وَهُم لا يَعْرِفُونَ عَنِ الْقُرْآنِ شَيْئًا] وَهَذَا يَأْخُذُ الْوَاقِعَ وَحْدَهُ سَبِيلاً ، وَهَذَا يَأْخُذُ مِن حَالِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ سَبِيلاً ، فَلاَ بُدَّ وَأَن يَقَعَ الاِخْتِلاَفُ وَالتَّمَرُّدُ عَلَى أَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَيَحْصُلُ الشِّقَاقُ وِالْفُرْقَةُ كَمَا هُوَ وَاقِعُ الْمُسْلِمِينَ الآنَ فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ أَخِي الْمُسْلِمَ أَن تَجْعَلَ وَسِيلَتَكَ للهِ إِلا كَلاَمَ اللهِ وَكَلامَ رَسُولِهِ ق .

لِمَاذَا ذَمَّ اللهُ النَّصَارَى

وإِلَيكَ مِثَالاً لِمَا حَدَثَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ النَّصَارَى يَقُولُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ قَولِ اللهِ تَعَالَى " اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ " يَقُولُ رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ مِن طُرُقٍ عَن عَدِيِ بِنِ حَاتِمٍ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَتْهُ دَعْوَةُ رَسُولِ اللهِ ق فَرَّ إِلَى الشَّامِ وكَانَ قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأُسِرَتْ أُخْتُهُ وَجَمَاعَةٌ مِن قَوْمِهِ ثُمَّ مَنَّ رَسُولُ اللهِ عَلَى أُخْتِهِ وأَعْطَاهَا فَرَجَعَتْ إِلَى أَخِيهَا فَرَغَّبَتْهُ فَي الإِسْلاَمِ وَفِي الْقُدُومِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ق فَتَقَدَّمَ عَدِيُّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَ رَئِيسًا فِي قَوْمِهِ طَيِّءٍ [وَأَبُوهُ حَاتِمُ الطَّائِيُّ الْمَشْهُورُ بِالْكَرَمِ] فَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِقُدُومِهِ فَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ق وَفِي عُنُقِ عَدِيٍ صَلِيبٌ مِن فِضَّةٍ وَهُوَ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةُ {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ } قَالَ فَقُلْتُ إِنَّهُم لَمْ يَعْبُدُوهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ق بَلَى إِنَّهُم حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلاَلَ وَحَلَّلُوا لَهُمُ الْحَرَامَ فَاتَّبَعُوهُمْ فَذَلِكَ عِبَادَتُهُم إِيَّاهُم فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ق ((يَا عَدِيُّ مَا تَقُولُ ؟ أَيَضُرُّكَ أَن يُقَالَ اللهُ أَكْبَرُ؟ فَهَلْ تَعْلَمُ شَيْئًا أَكْبَرَ مِنَ اللهِ؟ مَا يَضُرُّكَ أَيَضُرُّكَ أَن يُقَالَ لا إِلَهَ إِلا اللهُ فَهَلْ تَعْلَمُ إِلَهًا غَيْرَ اللهِ ؟ ثُمَّ دَعَاهُ إِلَى الإِسْلاَمِ فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ قَالَ فَلَقَدْ رَأَيْتُ وَجْهَهُ اسْتَبْشَرَ ثُمَّ قَالَ، إِنَّ الْيَهُودَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِم وَالنَّصَارَى ضَالُّونَ)) .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ بِنُ الْيَمَانِ وَعَبْدُ اللهِ بِنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُمَا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ إِنَّهُم اتَّبَعُوهُمْ فِيمَا حَلَّلُوا وَحَرَّمُوا وَقَالَ السُدِّيُّ فِي تَفْسِيرهِ مَعْنَى " اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبابًا مِن دُونِ اللهِ " اسْتَنْصَحُوا الرِّجَالَ وَنَبَذُوا كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى " وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا " أى الَّذِي إِذَا حَرَّمَ الشَّيْءَ عَلَيْهِم فَهُوَ الْحَرَامُ ، وَمَا أَحلَّه لَهُمْ فَهُوَ الْحَلاَلُ ، وَمَا شَرَعَهُ اتُّبِعَ ، وَمَا حَكَمَ بِهِ نَفَذَ إِلَى هُنَا انتَهَى كَلاَمُ ابنِ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ وَمِن خِلاَلِ الْحَدِيثِ وتَفْسِيرِ الصَّحَابَةِ لِلآيَةِ نَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ق يُرْسِي لَنَا الْقَاعِدَةَ وَيُعَلِّمُنَا أَنَّ الْعِبَادَةَ هِي الطَّاعَةُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ق لِعَدِي بِن حَاتِمٍ لَمَّا قَالَ لَهُ إِنَّهُم لَمْ يَعْبُدُوهُم قَالَ: بَلَى إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلاَلَ وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ فَاتَّبَعُوهُم فَذَلِكَ عِبَادَتُهُم إِيَّاهُم وَمِن ذَلِكَ نَفْهَمُ أَنَّ الطَّاعَةَ هِيَ الْعِبَادَةُ وَعِبَادَةُ اللهِ تَعْنِي طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ ، وَلَو تَدَبَّرْتَ

الآَيَاتِ الْكَرِيمَةَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي حَقِّ خَيْرِ الْبَشَرِ مُحَمَّدٍ ق لَعَلِمْتَ أَنَّ الاتِّبَاعَ هُوَ سُنَّةُ الأَنْبِياءِ وَسَبِيلُهُمْ وَإِلَيكَ الآَيَاتُ :

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى" اتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ " [الأنعام: 106]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : " فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُون " [الزخرف:43، 44]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : " قُلْ لا أَقُولُ لَكُم عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ " [الأنعام:50]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : " وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآَيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِن أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِن رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَومٍ يُؤْمِنونَ " [الأعراف: 203]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : " فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُم وَقُلْ آَمَنتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ " [الشورى:15]

أَلَيْسَتْ هَذِهِ الآَيَاتُ كَافِيَةً أَن يِكُونَ الْمِيزَانُ هُوَ كَلاَمَ اللهِ تَعَالَى وَكَلاَمَ رَسُولِهِ ق وتَنَبَهْ أَنَّ الآَيَاتِ كَانَتْ فِي حَقِّ مُحَمَّدٍ ق وَأَتْبَاعِهِ يَعْنِي أَنَّ الاتِّبَاعَ لأَوَامِرِ اللهِ دُونَ غَيْرِهِ صِفَةٌ مِن الصِّفَاتِ الَّتِي يَجِبُ أَن تَكُونَ فِي كُلِّ مُؤْمِنٍ.

مَاهِيَ وَسِيلَةُ الاتِّفَاق

وَمَعَ ذَلِكَ أَخَا الإِسْلاَمِ أُذَكِّرُكَ بِأَنَّنَا اتَّفَقْنَا عَلَى أَنَّ مَن سَمِعَ كَلاَمَ اللهِ تَعَالَى وَأَطَاعَ لَهُ فَلَن يَخْتَلِفَ مَعَ غَيْرِهِ مِمَّنْ اتَّبَعُوا نَفْسَ الطَّرِيقِ لأَنَّ الْكُلَّ يَأْخُذُ مِن مَعِينٍ وَاحِدٍ وَلِذَلِكَ نَرَى نَبِيَّنَا ق كَانَ حَرِيصًا أَشَدَ الْحِرْصِ عَلَى تَرْبِيَةِ الْجِيلِ الأَوَلِ الَّذِي حَمَلَ رَايَةَ الإِسْلاَمِ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ بِأَسْرِهَا عَلَى هَذَا الْمَبْدَأِ الْعَظِيمِ وَهُوَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَفَقَط وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي أَمْرٍ كَانَ الاحْتِكَامُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَيُفْصَلُ فِي الأَمْرِ دُونَ نِزَاعٍ وَلِذَلِكَ نَرَى الْقُرْآنَ الكَرِيمَ يَضَعُ هَذَا الْمَبْدَأَ أَمَامَ الْمُسْلِمِ لِيَكُونَ نُصْبَ عَيْنَيْهِ فَيَقُولُ اللهَ تَعَالَى { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} النساء/59

وَيَقُولُ تَعَالَى { فَلاَ وَرَبِّكَ لاَيُؤْمِنُونَ حَتَى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَيَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } النساء/65

وَيَقُولُ تَعَالَى { لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ } الحج/67

الاخْتِلاَفُ شَرٌّ

إِذَنْ النِّزَاعُ وَالاخْتِلاَفُ يَكُونُ شَرًّا إِذَا لَمْ نَحْتَكِمْ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ. لِمَاذَا ؟ لأَنَّنَا خَلْقُ اللهِ وَالدِّينَ دِينُ اللهِ وَالرَّسُولَ رَسُولُ اللهِ فَلاَ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَذْهَبَ لِغَيْرِ اللهِ لِنَحْتَكِمَ إِلَيْهِ وَلِذَلِكَ سَأَذْكُرُ لَكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ تَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ النِّزَاعَ مِنْ صِفَاتِ غَيْرِ الْمُنْصِفِينَ وَأَنَّهُ مَذْمُومٌ.

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : " وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِن بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُمْ مَن يُرِيدُ الآَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ " ال عمران:152

أَرَأَيْتَ أَخِي الْمُسْلِمَ أَنَّ النِّزَاعَ كَانَ سَبَبًا فِي الْمَعْصِيَةِ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لأَصَابَهُمْ شَرٌّ عَظِيمٌ لأَنَّ اللهَ ذَمَّ النِّزَاعَ الَّذِى وَقَعَ بَيْنَهُمْ وَلَكِنَّهُ عَفَا عَنْهُمْ وَهُوَ صَاحِبُ الْحَقِّ فِي أَنْ يَعْفُوَ أَوْ يُعَذِّبَ وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ نَرَى فِي الأُمَّةِ مَنْ يَخْرُجُ فَيَقُولُ هَذِهِ الْقَوْلَةَ الشَّنْيعَةَ الَّتِي لاَ تَخْرُجُ إِلاَ مِنْ إِنْسَانٍ جَهِلَ دِينَ اللهِ بِالْمَرَةِ وَهَذِهِ الْقَوْلَةُ هِيَ [اخْتِلاَفُهُمْ رَحْمَةٌ – أَوْ اخْتِلاَفُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ – أَوْ اخْتِلاَفُ الأَئِمَّةِ رَحْمَةٌ] مَعَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَمَّ الاخْتِلاَفَ فِي الْقُرْآنِ فَكَيْفَ يَكُونُ الاخْتِلاَفُ رَحْمَةً وَهُوَ يُعَارِضُ أَصْلاً مِنْ أُصُولِ الْقُرْآنِ وَإِلَيْكَ الآيَاتِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى " وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " هود /119, 118

أَلاَ تَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الآيَاتِ أَخِي الْمُسْلِم أَنَّ الاخْتِلاَفَ لَيْسَ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا أَلاَ تَرَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ " وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ " أَيْ أَنَّ الْمَرْحُومِينَ مِنْ قِبَلِ اللهِ هُمُ الَّذِينَ لاَ يَخْتَلِفُونَ فَكَيْفَ يَكُونُ الاخْتِلاَفُ رَحْمَةً وَتَرَى بَعْضَهُمْ بِجَهْلِهِ يُنْسِبُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ق حَدِيثًا وَهُوَ قَوْلُهُ ((اخْتِلاَفُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ)) وَهَذَا بَاطِلٌ لاَ تَصِحُّ نِسْبَتُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ق .

فَإِذَا كَانَ الاخْتِلاَفُ رَحْمَةً فَكَيْفَ يَكُونُ الاتِّفَاقُ وَمَاذَا يَقُولُ هَؤُلاَءِ عَنْ الاتِّفَاقِ وَلِذَلِك يَقُولُ نَبِيُّنَا ق فِيمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن عَمْرٍو السُّلَمِيِّ وَحُجْرِ بنِ حُجْرٍ قَالاَ أَتَيْنَا العِرْبَاضَ بنَ سَارِيَةَ وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ " وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ "

فَسَلَّمْنَا وَقُلْنَا أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ فَقَالَ العِرْبَاضُ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ق ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ فَقَالَ ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتُ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ)) أبو داود/ 4607

– وَبَعْدَ أَنْ عَلِمْنَا أَنَّ الاخْتِلاَفَ شَرٌّ وَالْخَيْرَ كُلَّ الْخَيْرِ فِي أَنْ نَتَّفِقَ عَلَى السَّبِيلِ وَالطَّرِيقِ الَّذِي نَتَّبِعُهُ فَيَسْتَرِيحَ الْجَمِيعُ وَيَنْتَهِيَ الشَّقَاقُ وَالنِّزَاعُ وَالْفُرْقَةُ مِصْدَاقًا لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِنْهَا " ال عمران/103

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى " وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " ال عمران 105,104

أَلاَ نَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الآيَاتِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ النَّجَاةَ فِي التَّمَسُكِ بِمَا أَوْحَى اللهُ بِهِ إِلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ق دُونَ أَنْ نُنَاقِشَ فِيهِ أَوْ نُعَدِّلَ عَلَيْهِ أَوْ نَظُنَّ أَنَّ مَصْلَحَةَ النَّاسِ فِي غَيْرِ أَمْرِهِ.

إِذَنْ الآنَ يَجِبُ أَنْ نَتَّفِقَ عَلَى أَنَّ الإِسْلاَمَ لَيْسَ كَلِمَةً تُقَالُ بِاللِّسَانِ أَوْ تُكْتَبُ فِي وَرَقَةٍ أَوْ شِعَارًا بَيْنَ النَّاسِ أَوْ اسْمًا يُطْلَقُ عَلَى شَخْصٍ مَا وَلَكِنَّ الإِسْلاَمَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ التَّسْلِيمُ لأَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَمَعَ ذَلِكَ تَعَالَ بِنَا نُطَوِّفُ بَيْنَ كَلاَمِ رَسُولِ اللهِ ق لِنَعرِفَ مَدَى مُطَابَقَةِ وَاقِعِ الْمُسْلِمِ لِمَا نَطَقَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ق

رَوَى ابنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ق ((مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا))

وَرَوَى ابنُ مَاجَةَ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ق ((ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنبِيَّائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَخُذُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَانْتَهُوا)) ابن ماجة

وَقَالَ ق ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ))

وَرَوَى أَيْضًا قَالَ ((كَانَ ابنُ عُمَرَ إِذَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ق حَدِيثًا لَمْ يَعْدُهُ وَلَمْ يُقَصِّرْ دُونَهُ))

– وَمَعَ ذَلِكَ تَرَى أَنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِالْحَقِّ فِئَةٌ قَلِيلَةٌ مِنَ النَّاسِ أَلاَ تَرَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ " وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ . وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَ الظَّنَ وَإِنْ هُمْ إِلاَ يَخْرُصُونَ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ " الأنعام (115:117)

الدِّينُ يُسْرٌ

أَرَأَيْتَ أَخِي الْمُسْلِم أَنَّ الإِسْلاَمَ سَمْحٌ يَسِيرٌ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ أَوَامِرَ وَنَوَاهِي وَلَيْسَ كَمَا يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ بَعْدَمَا يُغَيِّرُونَ أَحْكَامَ اللهِ تَعَالَى وَيُطَوِّعُونَهَا تَبَعًا لأَهْوَائِهِمْ وَعُقُولِهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ [إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ]

– كَلِمَةَ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ وَكَأَنَّ مَاتَرْتَضِيهِ عُقُولُهُمْ هُوَ الَّذِي فِيهِ اليُسْرُ وَأَمَّا أَمْرُ اللهِ تَعَالَى أَصْبَحَ لاَيُنَاسِبُهُمْ وَفِيهِ العُسْرُ وَلَكِنَّ الإِسْلاَمَ فِي حَقِيقَتِهِ هُوَ اليُسْرُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ عُسْرٌ وَأَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيهِ إِذَا نُفِّذَتْ كَمَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى فَإِنَّ هَذَا هُوَ اليُسْرُ كُلُّهُ الَّذِي لاَيُسْرَ بَعْدَهُ وَلاَمَصْلَحَةَ للنَّاسِ فِي غَيْرِهِ وَلَوْ تَدَبَّرْتَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الأَحْزَابِ " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا " وَقَوْلَ اللهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ مُحَمَّدٍ " يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ "

فَلَيْسَ لِلإِنْسَانِ الْحَقُّ فِي أَن يَخْتَارَ بَيْنَ قَوْلِ اللهِ أَوْقَوْلِ رَسُولِهِ وَقَوْلِ عَالِمٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَوْ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ أَبَدًا كَمَا نَطَقَتْ آيَةُ سُورَةِ الأَحْزَابِ وَأَنَّ الْعَمَلَ الَّذِي لَمْ يُنَفَّذْ كَمَا أَمَرَ اللهُ بِهَ أَوْ أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ فَإِنَّهُ بَاطِلٌ غَيْرُ مَقْبُولٍ كَمَا نَطَقَتْ بِهِ آيَةُ سُورَةِ مُحَمَّدٍ

8 – مفهوم الأمراء والعلماء

لا بد وأن نفهم أن الأمير ما أمره الشرع والعالم ما اعترف به الشرع عالما ولكن عدم الفهم لهذه المصطلحات يؤدي إلى شتات كبير بل ووبال عظيم وذلك لأن الأمراء إذا تعددوا كان كل أمير له خطه الذي يسير فيه فيترتب على ذلك الفرقة والشتات بل والتضارب والخلاف بل العنف والقتال وأمامنا أفغانستان مثال لذلك لقد تعدد فيها الأمراء اتحدوا لقتال عدوهم وعدو دينهم ولما نصرهم الله تعالى على عدوهم تقاتلوا فيما بينهم وتناحروا على من يكون الأمير فوقعت الفتنة وازداد الخلاف وأصبح المثل يضرب بهم على أناس يريدون الحكم وليس هدفهم التحكيم .

والعالم من جعله الشرع عالما لعلمه بقواعد الشرع وأصوله وكان له في كل قول سلف من أهل السنة لا من أهل البدع والأهواء من الفرق الضالة ولذلك كان العلماء لهم وزنهم في دين الإسلام حيث إنهم الجهاز المناعي لهذه الأمة من الأمراض الفتاكة التي تفتك بجسدها ولكن مع ذلك كله كان الواجب أن يكون العلماء مجرد وسيلة لتوصيل الحق وليسو معبودين من دون الله عز وجل كما سبق بيانه ولا بد من العلم أنه إذا وقع الخلاف بين المسلمين في أي عصر من العصور منذ عصر الصحابة إلى عصرنا هذا وجب عند الاختلاف أن يرد الأمر لله وللرسول فلقد قال الله عز وجل " فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً " ((النساء/59))

ومعنى الرد إلى الله سبحانه وتعالى أي الرد إلى كتابه ومعنى الرد إلى الرسول ق أي الرد إلى سنته بعد وفاته وهذا مما لا خلاف فيه بين جميع المسلمين ممن يعتد بهم في شريعة الله عز وجل فإذا قال مجتهد من المجتهدين هذا حلال وقال آخر هذا حرام فليس أحدهما أولى بالصواب من صاحبه إلا بموافقته للدليل والبرهان من الشرع ولذلك كان الرجال يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بالرجال وذلك لأن العلماء كل منهم فرد من أفراد عباد الله تعالى مكلف بما كلف به غيره بل زادت تكاليفه عن غيره بالبيان للناس وكلما كان العالم علمه أكثر وشهرته أوسع كان تكليفه أكبر فقد قال الله عز

وجل " وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينُ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَهُ لِلْنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ " وقوله تعالى " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَي مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاه لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعُنُهُمُ اللاعِنُونَ " فالعالم تزداد تكاليفه ويشتد حسابه بين عباد الله عز وجل بما آتاه الله من العلم الذي أمر بتبليغه بالحق.

وبالجملة فهذا أمر معلوم أن العلم وكثرته وبلوغ حامله إلى أعلى درجات العرفان لا يسقط عنه شيئا من التكاليف الشرعية والقاعدة في هذا كما قلنا كل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ق أو كما قال الإمام مالك فليس لعالم وإن بلغ من العلم إلى أرفع رتبة وأعلى منزلة أن يكون قدره ومرتبته ومنزلته بحيث يقتدى به فيما خالف الكتاب والسنة أو أحدهما بل ما وقع منه من الخطأ بعد توفية الاجتهاد حقه يستحق به أجرا ولا يجوز لغيره أن يتابعه عليه وقد أوضحنا هذا في أول البحث بما لا يأتي التكرار له بمزيد فائدة.

9- مفهوم النصر والتمكين

إن مفهوم النصر والتمكين يحتاج منا إلى مراعاة القواعد الأصولية للشرع والعلم التام واليقين الجازم بأن الله بيده مقاليد الأمور يصرفها كيف يشاء وأن الإنسان ليس له من الأمر شيء ولكن ما عليه إلا أن يستخدم الأسباب التي خلقها الله سبحانه وتعالى وأعطاها له فيكون الهدف الحقيقي من سعيه مرضاة الله عز وجل ولذلك كان هذا المفهوم النصر والتمكين الذي أخبر الله عز وجل به في قوله تعالى " وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا " [سورة النور]

فالنصر والتمكين متحقق في هذه الآية فالذي يريد أن ينصره الله فليعلم علم اليقين أن النصر من عند الله عز وجل قال الله تعالى وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ، ولكن لابد مع هذا أن يعلم علما يقينيا معنى قول الله عز وجل " وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَن يَنْصُرُهُ " وأيضا قول الله تعالى " إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُم " فها هي الأولى وما النصر إلا من عند الله والسبب الأول والأخير الذي عليه تحقق النصر من عند الله عز وجل إَنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ

فما هو توجيه المعنى لنصر الله ؟

وهل الله يحتاج من الناس إلى النصر ؟

فليس أمام كل مؤمن إلا أن يقول " إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ " ولكن معنى النصر لله هنا أن نقوم بما علينا من الواجب لله عز وجل فإنه العزيز الغني الحميد ولكن ننصر شرع الله لتكون النتيجة أن يعزنا الله عز وجل ولو نظرنا إلى نعم الله التي بين أيدينا لوجدناها كلها من هذا القبيل فالله يعطيك النعمة من عنده ويعطيك الثواب والجزاء على إنفاقها في وجهها الصحيح فيعطيك الوقت والعقل والعافية لتصلي فإن صليت كما أمرك الله كان ذلك راجع لك بالحسنات التي بها ينجيك الله من النار ألا ترى أنك بهذا قد نصرت الله وكان الخير عائدا إليك أنت مع أن الله غني عن صلاتك وصلاة غيرك عزيز من غير

عبادتك له وقوي ليس بحاجة إلى أحد بل تُسْتَمَدُّ العزة والقوة منه هو سبحانه وتعالى فإن فعلت ذلك كانت النتيجة المترتبة على نصر الله قوله تعالى " وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ " فيا لها من عجيبة من عجائب قدرة الله عز وجل أن يكون هو المعطي أولا وآخرا فذلك فضل الله والله ذو الفضل العظيم وثم بيان لذلك في الحديث القدسي الذي رواه مسلم من حديث أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ق فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ قَالَ سَعِيدٌ كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ حَدَّثَنِيهِ أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَقَ حَدَّثَنَا أَبُو مُسْهِرٍ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ غَيْرَ أَنَّ مَرْوَانَ أَتَمُّهُمَا حَدِيثًا قَالَ أَبُو إِسْحَقَ حَدَّثَنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ابْنَا بِشْرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو مُسْهِرٍ فَذَكَرُوا الْحَدِيثَ بِطُولِهِ حَدَّثَنَا إِسْحَقُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ق فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي فَلَا تَظَالَمُوا وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ وَحَدِيثُ أَبِي إِدْرِيسَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ أَتَمُّ مِنْ هَذَا *

10 – مفهوم الجهاد في سبيل الله

مفهوم الجهاد في سبيل الله يؤخذ من الكتاب والسنة لنعرف من نجاهد وعلى أي أساس نجاهد لأن الجهاد لابد وأن يكون في سبيل الله وسبيل الله لا يحدده إلا الله عز وجل ولذلك لما اختلف الفهم عند الناس تبعا للأهواء تحول الجهاد من مجاهدة الأعداء إلى مجاهدة المسلمين من أهل الملة فانقلب مفهوم الجهاد ولذلك حدد النبي ق معنى من معاني الجهاد عندما سئل عن الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة فقال النبي ق في الحديث الذي رواه البخاري من حديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ق فَقَالَ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

والجهاد أنواع :

الجهاد بحمل السلاح واستخدام القوة نوع منه فهناك الجهاد مع النفس والجهاد مع الأهل والجهاد من العصاة والجهاد مع المال والجهاد مع أهل الكتاب والجهاد مع الكفار فهذه أنواع لابد من فهمها والله تعالى يقول " إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِهِم فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ "

فالجهاد بالمال والنفس هو أصل الجهاد وفي الآية قدم الله المال على النفس لأن المال غالبا ما يكون من السهل على الإنسان أن يجاهد به أما بذل النفس فإنه يحتاج إلي إيمان قوي ويقين عميق ولذلك فإن الله تعالى في الآية الأخرى قدم النفس على المال فقال " إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُم وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلَونَ وَعْدًا عَلَيهِ حَقًا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ "

وإذا كان هذا هو نوع من أنواع الجهاد فإن طلب العلم جهاد ألم تر أن الله تعالى يقول عن المجاهد بنفسه في القتال " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اِثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيا فِي الآَخِرَةِ إلا قَلِيلٌ إلا تَنْفِرُوا يَعَذِبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قومًا غَيْرَكُم وَلَا تَضُرُّوه شَيْئًا " [التوبة:39]

وفي الآية الأخرى قال تعالى " انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُم فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُم خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ " فانظر إلى كلمة انفروا ثم انظر إلى الآية التي يقول الله تبارك وتعالى فيها " وَمَا كَانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّة فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُم طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُم إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِم لَعَلَّهُم يَحْذَرُونَ " والشاهد في الآيات كلمة نفر فالآية الأولى عند القتال قال الله فيها انفروا وفي الآية الثانية عند العلم قال الله تعالى نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ فلعله الآن قد تبين لنا أن طلب العلم جهاد والتعليم جهاد.

من أجل ذلك كان لا بد من الضوابط الشرعية لهذا الجهاد فمنه ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية ولا بد وأن يكون الجهاد بحمل السلاح والقتال ضد عدو للدين الذي ثبتت عداوته بالشرع مع القدرة والاستطاعة على ذلك وجهاد العصاة يكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوفير سبل ووسائل التعلم للأمور الشرعية وجهاد النفس بتربيتها وحملها على الطاعة وطلب العلم النافع من منابعه الأصيلة وجهاد الأهل والأولاد بتربيتهم وتعليمهم وحملهم على طاعة الله عز وجل فإن الناس إذا ذكرت أمامهم كلمة الجهاد انصرفت أذهانهم إلى مجاهدة أولي الأمر من الحكام وأعوانهم واقتصر الأمر على ذلك وكان هذا هو معنى الجهاد عندهم بل ربما يجاهدون ولاة أمورهم ويوالون غيرهم من اليهود والنصارى والكفار وغيرهم هيهات هيهات بين هذا المعنى والمعنى الشرعي للجهاد فتنبه.

11 – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قلنا قبل ذلك إن المعروف ما جعله الشرع معروفا والمنكر ما جعله الشرع منكرا ولذلك كان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضوابط منها قول النبي ق في الحديث الذي رواه مسلم من حديث طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ فَقَالَ قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ق يَقُولُ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ.

فمن هذه الضوابط

1 – معرفة المعروف ومعرفة المنكر لأن الأمر بالمعروف لا يكون إلا بمعرفة حدود المعروف فكيف يأمر الإنسان بما لا يعرف ويترتب عليه الأمر بالمنكر وهو يظن أنه معروف وذلك لعدم علمه ومعرفته بحدود المعروف وحدود المنكر لتنضبط الأمور

2 – مراعاة حال المأمور والمنهي وذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي الحُسْن كما قال الله عز وجل " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " فلا بد من معرفة سبيل ربك معرفة صحيحة وتامة حتى تكون الدعوة إليه صحيحة مقبولة والحكمة العلم بالمعروف والمنكر ومراعاة حال المأمور وطريقة توصيل الأمر أو النهي وبذلك نكون قد قمنا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يكون فيه رضا الله عز وجل والحسنى للناس.

3 – الاستطاعة وذلك لأن النبي ق قال ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)) صدق رسول الله ق وإذا كان النبي ق قال من رأى فقد ربط تغيير المنكر بالرؤية المتحققة بأن هذا من المنكر وليس بالسماع ولا غيره حتى يتسنى للإنسان الناهي أو المغير للمنكر أن يكون متحققا من فعله ثم إن الاستطاعة قد جعلها

النبي ق درجات فقال فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه وكان هذا مراعاة لحال الآمر والناهي حتى لا يتسنى لأي أحد أن يعتدي على غيره بما لا يعلم فإن لم يستطع فبقلبه وهذه يستطيعها كل الناس وكل هذه المراتب تنطبق على كل شخص فالمسلم الذي لا يستطيع أن يغير المنكر باليد في موضع ربما يستطيع أن يغير في موضع آخر والذي لا يستطيع أن يغير باللسان في موضع ربما يستطيع أن يغير في موضع آخر وما يجوز لشخص أن يغير فيه ربما يحرم لغيره وعلى هذا فإن دين الإسلام يحض على ضرورة تغيير المنكر وذلك لحديث النبي ق الذي رواه الترمذي من حديث أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّهُ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ق يَقُولُ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ))

فالناظر إلى هذه الضوابط السابقة يستطيع أن يغير دون أن يقع في المحذور أو يقع عليه ضرر قبل التغيير أو عند التغيير أو بعد التغيير فكلها يرتبط بعضها ببعض دون أدنى انفصال بين واحدة وأخرى مع امتثال أمر الله عز وجل في قوله تعالى وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُم خَاصَّة

12 - مفهوم الطاغوت

من هو الطاغوت ؟ وكيف يعبد ؟ وهل أمرنا أن نكفر به أم نكفره ؟

لا بد من الإجابة على هذا السؤال حتى يتبين لنا بجلاء الحق في هذه المسألة والذي يستخلص من كلام السلف رضي الله عنهم أن الطاغوت هو كل ما صرف العبد وصده عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله ورسوله سواء في ذلك الشيطان من الجن أو الشيطان من الإنس والأشجار والأحجار والأوثان والأنصاب والقباب والمشاهد وغيرها ويدخل في ذلك بلا شك الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه وغيرها من كل ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء والأموال والفروج ليبطل بها شرائع الله عز وجل لإقامة الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر وغير ذلك مما أخذت هذه القوانين تحرمها وتحللها بنفوذها أو منفذيها والقوانين نفسها طواغيت وأمثالها من كل كتاب وضعه العقل البشري ليصرف الناس عن الحق الذي جاء به رسول الله ق إما قصدا أو عن غير قصد من واضعه فهو طاغوت

وعبادة الطاغوت تكون إما بصرف العبادة لهذا الطاغوت من دون الله عز وجل أو السمع والطاعة له فيما يأمر وينهى دون الرجوع إلى أمر أو نهي الله عز وجل ويدخل تحت هذا كله الجن والإنس والجماد ولكن لا بد من ضابط حتى نستطيع التمييز بين من يعبد راضيا بذلك ومن يعبد أو تصرف له وجوه العبادة وهو غير راض ولا يسع المسلم إلا أن يقول لا إله إلا الله.

والخلاف قائم بين الناس وتشتتوا إلى أحزاب وشيع بسبب الكفر بالطاغوت أو تكفيره والأصل أن نرد المسائل إلى كتاب الله عز وجل وهو الذي يفصل ويحكم فالله تعالى يقول " وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أَولئَكِ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولئَكِ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ " فاجتناب الطاغوت واجب على كل مسلم وفرض عين عليه وإن لم يفعله فهو قادح في دينه إلا أن يكون مكرها وفي المقابل " وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ " فالأمر واضح وبين لا يحتاج إلى تفصيل والجزاء لهم البشرى فالله أعطى البشرى لمن اجتنب الطاغوت

وكفر به وليس لمن يكفره وأناب إلى حكم الله عز وجل وأيضا يقول الله تعالى " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُم آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ فالقرآن قال أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ " ولم يقل أمروا أن يُكَفِّرُوهُ فالمأمور به أن نَكْفُرَ بالطاغوت فكل إنسان يستطيع أن يَكْفُرَ بالطاغوت ولا يستطيع أحد من المخلوقين مهما بلغت قوته أو جبروته أن يجبر إنسانا على الإيمان به لأنه أمر متعلق بالقلب.

13 – مفهوم الكفر بالطاغوت

ذكرنا قبل ذلك مفهوم الطاغوت من هو؟ وما مواصفاته؟ وماذا علينا نحن تجاه الطاغوت؟ ولبيان هذا الأمر جيدا كان لا بد من بيان معنى الكفر بالطاغوت والإجابة سهلة يسيرة بإذن الله

فالكفر بالطاغوت ألا يندرج الإنسان تحت هذا الطاغوت بأي حال من الأحوال راضيا وليس بلازم أن نُكَفِّرَ الطاغوت ولكن الواجب علينا أن نتبرأ منه فقط وقد سقنا الأدلة على ذلك في المفهوم السابق وإليك هذا الدليل أيضا من سورة الممتحنة فقد قال الله عز وجل حكاية عن إبراهيم عليه السلام " قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِم إِنَّا بُرَءَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ للهِ كَفَرْنَا بِكُم وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِن شَيءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيكَ المَصِيرُ "

فيا أيها الشباب ارحموا أنفسكم قبل فوات الأوان فاليوم رجوع وتوبة وسلامة وغدا حساب وحسرة وندامة.

فنسأل الله عز وجل أن يتوب علينا وأن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه وكتبه

أبــو محمــد

عبد الله بن عبد الحليم بن محمد السيسي

جزيرة محمد – الوراق – جيزة

ربيع الآخر 1421 هـ

يوليه 2000 م

فهرس

تم بحمدالله